

أ.د. عبدالكريم بكار
أفق
أخضر
للنجاح والإنجاز
وجوه
WOJOOOH

أفق أخضر

للنجاح والإنجاز

أ.د. عبدالكريم بكار

أفق أخضر
للنجاح والإنجاز

أ. د. عبدالكريم بكار

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012م

جميع الحقوق محفوظة

التنفيذ الفني والنشر والتوزيع



دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108
للتواصل والنشر:
wojoooh@hotmail.com



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن الله عَزَّوَجَلَّ سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض منة منه وكرماً، وزوَّده إلى جانب ذلك بإمكانات وطاقات هائلة للارتقاء بذاته والاستفادة مما حوله، ولكن لدينا الكثير من الأدلة على أن البنية الشعورية والفكرية للإنسان شديدة الرهافة، وتحتاج إلى عناية شديدة، حيث إن فكرة جوهرية يتخذ منها المرء رأس جسر، ويثابر على العمل بها قد تغيِّر مجرى حياته، وتنقله من حال إلى حال، كما أن توهمه لأمر من الأمور أوحذره الشديد من شيء من الأشياء، قد يكبله، ويصده عن النهوض إلى كثير من الخير والفوز،وهذا يدل على أن من الحيوي جداً لأي واحد منا أن يمتلك رؤية جيدة لذاته ومحيطه وعصره، وإلا فإن الخسارة قد تكون فادحة!. في العشرين سنة الماضية حصل تقدم

واضح في وعينا على صعيد الاهتمام بتنمية الشخصية، حيث صار لدى كثير من العرب والمسلمين يقين بأن انتظار نتائج الإصلاح العام- كما فعل أسلافنا - ليس شيئاً رشيداً، كما أنه غير عملي، ومن ثم صار كثير من الشباب يؤمنون بالعمل بمضمون المقولة الشهيرة : (إذا لم تساعد نفسك، لم يساعدك أحد) ولهذا فإننا قد بتنا نلاحظ إقبالاً شديداً على حضور الدورات التدريبية واقتناء الكتب وحضور المحاضرات... التي تساعد في مسألة صقل الشخصية وفتح آفاق جديدة للارتقاء بها، وهذا تطور في غاية الأهمية. الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم مؤلف من عدد من المقالات التي كنت نشرتها خلال السنوات القليلة الماضية في مجلة (البيان) في زاوية (أفق أخضر) وفي مجلة (الإسلام اليوم) وموقع (الإسلام اليوم) على النت. ومن الواضح أن ما ينشر في المجلات لا يُقرأ إلا من قبل عدد محدود جداً من المهتمين، كما أن كثيراً من الشباب لا يتابعون ما يُنشر على (النت) من مقالات وبحوث، ومن هنا وجدت أن من المفيد اختياربعض تلك المقالات وجمعها في كتاب واحد حيث إنها جميعاً تدور حول محور محدد، هو النهوض بالإنسان حتى تعم فائدتها، وحتى تقدم رؤية لما نرمي إليه من التركيز على التقدم الشخصي.وإني لأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبارك هذا العمل، وينفع به إخواني القراء؛ إنه سميع مجيب.

المؤلف

في ١٤٣٣/٣/١٢هـ

التعبئة الروحية

نحن نلاحظ اليوم وجود الكثير من التناقضات في سلوكيات كثير من المسلمين، كما نلاحظ انخفاض مستوى حماسة كثيرين منهم للقيم التي يؤمنون بها، مع أننا نعرف أن الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ والإيمان الصادق بمبدأ من المبادئ من الأمورالمحفِّزة للامتثال له والعمل به برغبة وجدية، لكنني أظن أن من المهم أن نأخذ ونحن نفكر في هذه المسألة بعين الاعتبارعدداً من الأمور، منها:

١- إن الإنسان المسلم لا يملك أي خيار تجاه كثير من القيم الإيجابية والسلبية؛ إذ إن عليه أن يؤدي الصلاة والزكاة والحج... وعليه أن يمتنع عن الزنا وشرب الخمر ولعب الميسر... على حين أن غير المسلم أو الملحد يجد نفسه حراً تجاه كل ذلك أو جله.

٢-إن كثيراً من المسلمين لم ينالوا من التنشئة الصالحة والعناية الجيدة ما

يجعلهم يتعرفون على كثير من القيم الإسلامية، وأحياناً يطلعون عليها بشكل مشوّه أو بطريقة سيئة، كما أن التداول الشعبي لكثير من المبادئ والأحكام والأخلاق يلونه بلون المجتمع، ويصبغه بصباغٍ من وعيه وفهمه للشريعة، وقد قال ابن الجوزي- رحمه الله-: (وفي زماننا من لو جلدته حتى يفطر في رمضان ما أفطر، ولو جلدته حتى يصلي ما صلى)!

٣-على مدار التاريخ كانت هناك مساحة فاصلة بين ما يعتقده ويقوله كثير من المعلمين والمربين، وبين ما يفعلونه، وهذا يجعل كثيراً من الأطفال يرتبكون في فهم كثير من القيم الإسلامية، ولا يشعرون بأهميتها. لهذه الأسباب وأسباب أخرى كان من غير الممكن للمجتمع المسلم أن يكون أشد حماسة لقيمه ومبادئه، وأشد تمسكاً بها مما هو عليه الآن.

ما العمل؟

لا أعتقد أن هناك سوى طريق واحدة، هي العمل على إيجاد تعبئة روحية شاملة؛ فالتيار الشهواني الجارف الذي يجتاح العالم من أدناه إلى أقصاه، ومشقات العيش، وتحديات الحياة الجديدة.... كل ذلك لا يمكن مواجهته من خلال طرح المزيد من الأفكار، وإنما من خلال إيجاد تيار روحي قوي يوفر وقوداً روحياً كافياً لتوليد المسرات المرتقبة، وكافياً لتوليد مجابهة قوية للشرور والرغبات غير المشروعة.

إن الذي يتأمّل في خطط التنمية وفي كتابات كثير من المصلحين والتنويريين

يجد الكثير من التنظير الجميل، لكن يتضح مع الأيام أن ذلك التنظير ظل أشبه بخريطة ترشدنا إلى السير في طريق طويل، لكن الوسيلة التي سنستخدمها لقطع تلك الطريق مفقودها! ويؤسفني القول: إن بعض مثقفينا ينظر إلى الحديث عن الأمور الروحية والأخلاقية على أنه حديث (دراويش) وسذّج، مع أن الواقع يشهد بأن معظم الناشطين في مجالات العمل الخيري والتطوعي هم من أولئك الذين يمتلكون روح الاحتساب والتقرّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولو تأمّلنا في الحقبة النبوية المباركة لوجدنا أن التعبئة الروحية كانت على أشدها، إلى درجة أن المراهقين كانوا يسابقون الكبار إلى خوض المعارك الحربية وتعريض النفس للقتل طمعاً في الشهادة، وإلى درجة أن بعض المسلمين كانوا يعملون في شدة القيظ من أجل أن يتصدقوا بجزء من الأجرة التي سيحصلون عليها! وكانوا يحاولون متابعة رجل يقوم الليل حتى تتورّم قدماه، وهو في الوقت نفسه معرض عن زخارف الدنيا، إلى درجة أنه قد يمرّ عليه يوم كامل دون أن يدخل جوفه شيء من الطعام! ونحن اليوم مطالبون بالعمل على تنشيط الجانب الروحي من شخصياتنا والعمل على جعل التنمية الروحية جزءاً مهماً من خطط التنمية الاجتماعية، بالإضافة إلى بذل جهد شخصي وشعبي مقدّر في هذا الشأن.

نحن في حاجة إلى دورات تدريبية في تعميق معنى الإيمان وترسيخ معاني الشوق إلى الله عَزَّوَجَلَّ والحياء منه والتوكّل عليه والإنابة إليه، كما أننا في حاجة إلى تأسيس عدد كبير من الأطر التطوعية من أجل مساعدة الشباب على الانخراط

في العمل التطوعي؛ حيث يكون العطاء ومساعدة الاخرين قمة الإحسان إلى الذات، وحيث يكون فعل الخير مصدراً مهماً لتزكية النفس وتألّق الروح، وإني أقترح ألا ينال أي طالب شهادة الإعدادية إلاّ بعد أن يثبت أنه تطوّع مع بعض الجهات الخيرية مدة لا تقل عن مئتي ساعة عمل، وألا ينال أي طالب الشهادة الثانوية إلاّ بعد أن يثبت أنه أدّى لدى بعض الجهات التطوعية مدة لا تقلّ عن ثلاثمائة ساعة عمل، وألا ينال أي طالب جامعي شهادة التخرّج من الجامعة إلا بعد أن يثبت أنه تطوّع مع بعض الجهات الخيرية مدة لا تقل عن خمسمئة ساعة عمل؛ وإن الخطاب الإسلامي والدعوي مطالب بعد هذا وذاك بالتركيز على التذكير بالهدف الأسمى الذي نسعى إلى تحقيقه في هذه الحياة، وهو الفوز برضوان الله عَزَّوَجَلَّ وقد أعجبني ما ذكره أحد المفكرين من أنه يتذكر الموت عند اتخاذ القرارات الكبرى في حياته؛ حتى يظل مشدوداً إلى الآخرة ومرتبطاً بالمنهج الرباني الأقوم!



مقومات الشخصية الإيجابية

إذا كان للفضائل أمهات، فإن من أمهات الفضائل التي يحتاجها المسلم المعاصر فضيلتين : فضيلة الاستقامة، وفضيلة الفاعلية، ومن مجموع هاتين الفضيلتين تتكون الشخصية الإيجابية. ومع أن كلمة (الإيجابية) من الكلمات الأكثر تداولاً اليوم إلا أن العديد من دلالالتها لا يزال غامضا، وهذا الغموض يشجع على توليد الكثير من المعاني المرتبطة بها على نحو يعكس التوجهات العقدية والفكرية لمن يقوم بذلك، كما يعكس ما تمت بلورته من مفاهيم تتعلق بالمرونة الذهنية والحيوية في السلوك والعلاقات، وما دام الأمر على هذه الصورة فإن علينا أن نجتهد على نحو متصل في إغناء مدلولات (الإيجابية) من أفق رؤيتنا العامة للحياة، ومن أفق خصوصيتنا الثقافية، وهذا ما سأفعله بحول الله وطَوْله في عدد من الأعمال.

من الصعب أن تعثر في أي كتاب على تعريف جامع مانع - كما يقول المناطقة- للإيجابية، ولكن يمكن القول : إننا نعني بهذا المصطلح على نحو تقريبي تمتع المرء بدرجة عالية من الفعالية الفكرية والشعورية والنفسية تترتب عليها وضعية حسنة من الطمأنينة والارتياح إلى جانب وضعية جيدة من الالتزام والإنتاجية الممتازة؛ بالإضافة إلى نجاح جيد في العلاقات الاجتماعية. ومن المهم أن أشير إلى أن الإيجابية لا تعني ما نعنيه حين نتحدث عن التفكير الإيجابي، إنها لا تتطابق معه، لكن بينهما العديد من الأمورالمشتركة. في كل الأحوال يظل الإطار المرجعي للتنظير في أية قضية من القضايا، من الأمور الأساسية التي لا يصح إغفالها أو التهوين من شأنها؛ حيث إن كل التعريفات تخضع لنوع من الانتقاء، ولهذا فإن من السهل تحميلها بالمعاني المنحرفة أو غير الملائمة. إن أي شكل من أشكال الفاعلية الفكرية أو السلوكية لا يصح أن يكون مصادماً لمبدأ من مبادئ الشريعة الغراء، أو لحكم موضع إجماع، أو لنص قطعي؛ لأن شيئاً من هذا سينزع غطاء المشروعية عن تلك الفعالية. أما مستوى النشاط ومدى ملاءمته لما هو مطلوب من أجل المعاصرة؛ فهذا يحدِّده ما تراكم في خبرات البشرية من معايير ومقاييس للأداء الممتاز، ولما هو لائق وغير لائق على صعيد الأعمال. تأسيساً على هذا نقول : إن كل النجاحات وكل أشكال الفوز التي نحققها في هذه الحياة هي نجاحات مؤقتة وصغيرة؛ لأن الدنيا كلها صغيرة ومؤقتة، وحين يتم النجاح بطريقة غير مشروعة، كذاك الذي يتم عن طريق أكل الربا أو عن طريق السرقة أو الرشوة أو الغش.. فإن تسميته نجاحاً لا

تعدو أن تكون ضرباً من التجوُّز؛ فالحقيقة أن ذلك عبارة عن مجموعة أوهام لا تنتهي إلا بالندم والحسرة!

إن ما يفصل بين النجاح واللصوصية هو هامش ضيق؛ وعلى كل الناجحين أن ينتبهوا كيلا يتجاوزوه، فيصبحوا في عداد اللصوص، وهم يظنون أنفسهم من أهل السبق والفوز.





الانضباط الذاتي

تقدُّم أمة الإسلام، واحتلالها المكانةَ التي تليق بها بين الأمم مرتَهن بحصول تقدُّم على صعيد الحياة الشخصية لشريحة واسعة من أبنائها، وبناتها، وهذا التقدم ملموس اليوم لكنه بطيء للغاية، وضيِّق النطاق، والسبب في هذا ربما كان كامناً في عدم امتلاكنا تقاليد ثقافية تمجد العمل الشاق، وتُعلي من شأن الإنجاز وتأجيل الرغبات. والمشكل أن كثيرين منا غرقوا في حياة، يُقضى الكثير من متطلباتها عن طريق لمس الأزرار، مما جعلهم يعتقدون بضرورة الحصول على الأشياء بطرق سهلة وعاجلة.إن هذه الفئة من الناس، تتعامل مع الشدائد والضغوط بوضعية يسودها الكثير من الكسل والفوضى واللامبالاة، ويتعاملون مع الوفرة والرخاء والجِدَة بالاستمتاع والإسراف والتبذير؛ وما تتم التضحية به في كلتا الحالتين هو صلابة الشخصية والانضباط الذاتي!

حين نتحدث عن مسألة الانضباط الذاتي؛ فإن قسماً من الناس يعتقدون أننا نتحدث عن شيء يتصل بمعاقبة الذات أو تقييدها أو تجاهل حقوقها، وبعضهم ينظر إلى الانضباط الذاتي على أنه نوع من الحرفية أو الجمود والتكلس أو النقص في المرونة... وهذا كله غير دقيق، ولا يعبر عن جوهر هذا المصطلح. إذن ما الذي نريده منه، وما أهمية اكتساب هذا المعنى في حياتنا الشخصية؟

لعلِّي في الإجابة على هذا التساؤل أجلو الملامح الآتية :

١- إن التدين الحق يرسم صورة زاهية وبليغة للانضباط الذاتي، إنه يجعل المسلم يقوم بالكثير من الأشياء، ويكف أيضاً عن كثير من الأمور في المنشط والمكره والرخاء والشدة بطيب نفس، وإن تطبيق السُّنة في حياة المسلم يعني يقظة الوعي نحو التفاصيل، والقدرة على السيطرة على الأهواء والرغبات، لكن مشكلة كثير من الملتزمين أنهم لم يستطيعوا تعميم هذا المعنى على حركتهم اليومية؛ حيث إنهم كثيراً ما يجدون أنفسهم بعيدين عن الإنجاز العالمي وعن المثابرة على أداء العمل الشاق، وهذا أدى بالطبع إلى انخفاض إنتاجية الإنسان المسلم على نحو مخيف. إن الناتج القومي لليابان يشكّل أربعة أضعاف ناتج العالم الإسلامي برمته؛ وإذا عرفنا أن عدد المسلمين يساوي عشرة أمثال سكان اليابان ظهر لنا أن متوسط إنتاج الفرد الياباني يساوي إنتاج أربعين من المسلمين؛ أليس هذا من الأمور المحزنة؟!

٢- يعني الانضباط الذاتي فيما يعنيه تنظيم الذات؛ حيث وضوح الأهداف واستمرار البرامج وتأجيل الرغبات. إن الشخص المنضبط يتحمل بعض الآلام،

إنه يعمل وينتج ويقاوم المشتهيات؛ إذ يستسلم غيره للنزوة ويدمن الاسترخاء. وقد تبين أن حفز الذات على العمل يظل بعيد المنال ما لم يكن للإنسان أهداف مرحلية واضحة. لو تأملت في حياة كثيرين منا لوجدت أنهم يعانون من الفوضى الشخصية والنقص في التركيز؛ وهذان الأمران هما العدوان اللدودان للانضباط الشخصي.

جرِّب، واسأل عينة ممن حولك عما يحاولون إنجازه خلال عام، وما الخطوات التي يتبعونها في سبيل بلوغ ذلك؟ سل من حولك عن الأشياء التي يعدونها أولوية في حياتهم خلال العام الحالي؟ ولماذا هي أولوية؟ وكيف يعبرون سلوكياً عن نظرتهم إليها؟

إن معظم الناس لن يجدوا شيئاً يقولونه، أو إنهم سيحدثونك عن أشياء لا معنى لها.

٣ - المنضبط ذاتياً يشعر أنه يدرِّب نفسه شيئاً فشيئاً على إنجاز الأمور، وهو إلى جانب هذا يطوِّر خطته للإنجاز، ويتابع تنفيذ العهود التي قطعها على نفسه، إنه يعرف أن تحرير الإرادة يشكل أكبر علامات النصر على طريق طويل، وفي معركة حاسمة، ويدرك أن تحرير الإرادة يكون شيئاً مجوفاً وفارغ المضمون إذا لم يجد المرء نفسه قادراً على أداء الأعمال المهمة وإن كان يفقد الرغبة في القيام بها.وقد سألت غير واحد ممن يشتغل بالبحث العلمي عن جوهر ما يقوم به، وكان الجواب هو حب التسلي وشغل الوقت بشيء قد يكون مفيداً!

هذا الفريق من الناس ليس ضئيلاً؛ فهو يشكل شريحة واسعة بين أولئك الذين



لا يؤمنون بأهمية ما يقومون به، كما لا يعرفون بالضبط الجهة التي ستستفيد من مجهوداتهم.

٤- حين نشعر بالمسؤولية الشرعية والأخلاقية والأدبية عن أعمارنا وعن الإمكانات التي أتاحها الله - جل وعلا - لنا، فإننا سنضبط إيقاع حركتنا، وسنتعلم الاقتصاد في الجهد وفِقْه الخطوة المناسبة، وسنحاول باستمرار اكتساب العادات الجيدة. وهل السلوك الحسن سوى عدد جيد من العادات الحسنة؟ أيضاً سسوف نقوم بتكرار الأعمال المثمرة والصغيرة؛ لأن ذلك يعبر عن بعض وجوه الاستقامة، كما يدل على تحلينا بفضيلة الإصرار على التقدم.

مفتاح خلاص الأمة مما هي فيه شيء كامن في عقولنا ونفوسنا، حيث تدور أشرس المعارك وأنبلها، والبحث عنه في أي مكان آخر سيكون من هدر الوقت. فهل اتضحت معالم الميدان؟ وهل آن أوان التحرير؟ هذا ما أرجوه.



عناصر النجاح (١)

لا شك في أن أمة الإسلام تحتاج اليوم إلى أكبر عدد ممكن من الناجحين لأن ما تعانيه من تخلف عن كثير من الأمم، وفي العديد من المجالات، لا يمكن الخلاص منه إلا من خلال تغيير جذري لدي نسبة جيدة من أبناء الأمة، ليكونوا بمثابة الرواد الذين يشقون الطريق أمام السواد الأعظم من الناس. نحن قد لا نعرف ماذا يعنيه النجاح إلا إذا رأينا المشكلات والآلام التي تتولد من الفشل، وأعتقد أن أهل الغيرة من شباب هذه الأمة وشيوخها يدركون اليوم على نحو جيد أن من غير الممكن بناء أمة قوية من أشخاص غير أقوياء، كما لا يمكن بناء وطن صالح من أشخاص غير صالحين،فالمكان الجيد هو الذي يسكنه أشخاص جيدون، ومن هنا فإن أي تقدم حقيقي يُحرزه أي واحد من أبناء هذه الأمة يصب في حقيقة الأمر في رصيدها، ويجعلها تخطو خطوة نحو الأمام. هذا

شيء، والشيء الثاني الذي أود أن أجعله بمثابة الإطار لما سأتحدث به عن عناصر النجاح، هو أن النجاح الحقيقي يجب أن تتوفر فيه سمتان : الأولى : أنه نجاح مشروع يتم في إطار مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وعلى هذا فإن أي تقدم يحرزه الإنسان يكون في نظري غير ذي قيمة، وسيكون شيئاً لا معنى له إذا كان يجلب لصاحبه الخسارة في الآخرة. الثانية : أن النجاح مع انه في ظاهره مكسب فردي، لكنه في جوهره مكسب للأمة، وأنا إذ أضع هذا الشرط أؤمن بقوة أن المكاسب الفردية تظل ضئيلة إذا لم تمكن ترجمتها إلى مكاسب اجتماعية، فالمسلم الحق يجد في نفع العباد والبلاد وتخفيف الضغوط عن العناصر الضعيفة في المجتمع ـ المجالَ الأرحب للتعبير عن نبله وشهامته، كما يجد فيه الباب الأوسع لرضوان الله عَزَّوَجَلَّ والفوز بجنته والشعور بالسعادة والطمأنينة.

إن ما يؤدي إلى تقدم شخص ما على أقرانه على نحو ظاهر شيء معقَّد جداً، ويصعب وضع اليد عليه في كل الحالات، وما ذلك إلا بسبب كثرة العناصر والأسباب التي تحقق النجاح، أو تساعد عليه، لكن مهما يكن من الأمر، فإننا محتاجون ونحن ننظِّر لهذه المسألة إلى منح الثقة لبعض الأشياء والتعامل معها على أنها فعلاً تسهم في تحقيق التقدم الشخصي لكل من يأخذ بها، ولعل من تلك العناصر الآتي :

ـ أن يعرف الموقع الذي يحتله، أي مجمل الظروف التي تحيط به، لأنني أعتقد أن معظم ما يحققه الناس من نجاحات، وما يعانون منه من إخفاقات لا يعود إلى مواهبهم وخصائصهم الشخصية بقدرما يعود إلى البيئة التي يعيشون فيها،

وإذا رجع الواحد منا إلى مرحلة المراهقة في حياته لوجد أنه كان يحلم بأشياء كثيرة لم يتحقق منها شيء، كما قد يجد أنه حقق كثيراً من الأشياء الممتازة التي كانت أكبر بكثير من أن يتخيلها عقله، وهذا في نظري يعود إلى نقص شديد في الوعي بالذات والوعي بالمحيط.

ـ حين يعيش الإنسان في بيئة وفي ظروف أسرية، تجعل من المستحيل الحصول على الدراسات العليا ـ مثلاً ـ فإن عليه أن يبنى خططه المستقبلية في المرحلة الأولى على أنه لا يحمل سوى الإجازة الجامعية، وحين يحقق ما كان يصبو إليه، فإن ما أنجزه هو الذي سيدفع به ـ بإذن الله ـ لولوج المرحلة الثانية، والتي منها الدراسة لشهادة الماجستير والدكتوراه، وهذه الرؤية المستقبلية تتطلب من الواحد منا أن لا ينظر أبداً إلى الوراء، وأن لا يتوقف أبداً عندما حقّقه، وناله، كما أن عليه أن يعتقد بصدق وحماسة أن الشيء المهم ليس الشيء الذي تم إنجازه، وإنما الشيء الذي يتم إنجازه الآن، وسيتم إنجازه غداً، فالرحلة في حد ذاتها ممتعة وعظيمة واستمرارها من غير انتظار أي نهاية هو سر عظمتها!.

ـ على المرء إلى جانب فهم البيئة والمحيط أن يفهم ذاته، أي يفهم ما لديه من ميزات ونقاط قوة ونقاط ضعف وقصور، والحقيقة أن اكتشاف الذات أهم من اكتشاف العالم، لكن هذه العملية معقدة، وهي لا تكتمل أبداً، لكن مراجعة الإنسان لسجله الشخصي تساعده على النجاح في ذلك، كما أن لآراء الأساتذة والأصدقاء النابهين قيمة كبيرة في هذا الشأن.



عناصر النجاح (٢)

فطر الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان على التضايق الشديد من كل ما يسلب حريته، أو يصادر قراره، كما جعل الملل و السأم من أكبر منغصات سعادته، كما أنه جعل الشغف و الحماسة الوقود الروحي الذي تتطلبه كل الإنجازات العظيمة، و لعلي أتحدث هنا عن (الرغبة) و(القدرة) بوصفهما عنصرين مهمين من عناصر النجاح عبر الحروف التالية:

١- الرغبة:

إن رغبة الإنسان في الحصول على شيء هي التي تولِّد لديه الطاقة المطلوبة لبذل الجهد من أجل الوصول إلى الشيء المرغوب فيه، إن اكتشاف ما نرغب



فيه فعلاً ليس بالأمر اليسير، فمعظم الناس لا يعرفون الأشياء التي يريدونها، وكثير منهم غير متأكدين من درجة حبهم لهذا الشيء أو ذاك، والسبب هو جدب التجارب الشخصية وركود الأنشطة الخاصة، إن الإنسان المتحرك الذي يضرب في كل اتجاه، ويحاول تجريب الكثير من الطرق والوسائل والفنون يستطيع اكتشاف ميوله واكتشاف قدراته، ونستطيع في هذا السياق القول : إن الأسرة والمدرسة هما الجهتان الأساسيتان في اكتشاف ميول الأطفال ورغباتهم. إن الشيء الذي يجد الإنسان نفسه منخرطاً فيه أثناء فراغه يكون مرغوباً فيه وقريباً من القلب، والدرجات المتميزة جداً التي يحصل عليها الطالب تدل أيضاً على رغبته في المادة التي تفوق فيها على أقرانه، كما أن الملاحظات الذكية التي تصدر من الإنسان حول أمر من الأمور لاتخلو من دلالة على الميل إليه. بعض الآباء يشكون من أن أبناءهم ليس لديهم رغبة في أي شيء سوى اللهو واللعب والجلوس مع الرفاق، وهم يقولون : إنهم يحثون أبناءهم على القراءة والمطالعة وخوض تجربة الكتابة والبحث وقرض الشعر، لكن دون جدوى...وما درى أولئك الآباء أن معظم رغبات الإنسان لا تولد معه، وإنما تصنع صناعة، وتلك الصناعة لا تتم من خلال الكلام والأمر والنهي، وإنما من خلال توفير بيئة تحفز على تنمية رغباتٍ بعينها، ونحن نلاحظ في هذا الإطار أن الذين يدرسون في مدارس وجامعات ممتازة، يشعر أكثرهم بالميل الشديد إلى التخصصات التي يدرسونها، على حين أن الذين يدرسون في مدارس وجامعات ضعيفة يغلب عليهم ـ أو على أكثرهم ـ الزهد في كل شيء،فالإحباط الذي يعانون منه قتل

لديهم كل الرغبات المثمرة والنافعة!.

إن الذي يدرس تخصصاً لا يحبه على نحو واضح وقوي يستطيع أن ينجح فيه، وأن يتفوق على أقرانه أيضاً، لكنه لا يستطيع أن يبدع فيه، لأن الإبداع يحتاج إلى بذل جهد واهتمام استثنائيين، وهما لا يتوفران من غير الرغبة الصادقة في تحقيق اختراق مشهود.

٢ـ القدرة :

من عناصر النجاح وشروطه القدرة، أي امتلاك الإنسان للموهبة والمهارة المطلوبتين للنجاح في أمر من الأمور، والتعرف على القدرات سهل نسبياً، حيث إن هناك اليوم الكثير من الاختيارات التي تساعد الإنسان على التعرف على قدراته. المشكل في هذا هو الافتقار إلى التوافق بين العناصرالمختلفة، فقد يرغب المرء في دراسة تخصص معين، وتكون لأهله رغبة أخرى، فيحملونه عليها، أو يوقعونه في البلبلة. وقد يملك الإنسان القدرة على دراسة التخصص الفلاني، لكنه لا يحبه، وقد يحدث العكس، وقد تتفق الرغبة والقدرة في أمرٍ ما، لكن الفرصة لتحقيق ذلك غير متوفرة. على كل حال فإن علينا أن نعمل من أجل اكتشاف رغباتنا وقدراتنا، ونعمل على اكتشاف مواضع التقائها و على توفير الشروط التي تجعل استثمار كل ذلك ممكناً، وعلى المجتمع أن يساعد الأفراد في هذا الشأن.





عناصر النجاح (٣)

كلما كانت درجة النجاح الذي نطلبه أعلى كانت الشروط المطلوبة لتحقيقه أكثر، وهذه سنة من سنن الله عَزَّوَجَلَّ في الخلق، وقد تحدثت في الصفحات الماضية عن الرغبة والقدرة بوصفهما شرطين مهمين لتحقيق النجاح، وسأتحدث هنا عن عنصر جديد عبر الحروف الصغيرة الآتية:

-الفرصة:

الفرصة عنصر من العناصر المهمة حيث إن الحاجة إلى خبرة أو تخصصٍ ما لا تكون في البادية والقرية والمدينة واحدة، بل إن التخصص، قد يكون مطلوباً في دولة دون دولة وزمان دون زمان، ومن الأمثلة الصارخة في هذا ما يُذكر دائماً عن أولئك الأفذاذ الذين ذهبوا إلى أوربا وأمريكا، وتخصصوا هناك في الفيزياء النووية، وحين عادوا إلى بلادهم لم يجدوا أي مجال للعمل بسبب عدم وجود

أنشطة نووية، فذهب بعضهم إلى العمل في مديريات الزراعة، وبعضهم مارس التدريس في الثانويات... ومن هنا فإن على المرء أن ينظر إلى تخصصه على أنه أشبه ببضاعة، يحتاج إليها أناس، ويستغني عنها آخرون لكن من المعروف على نحو عام أن النابهين جداً والمتخصصين تخصصاً عالياً لا يجدون الفرص الكبرى في القرى والمدن الصغرى، وقد تكون الجامعات من الاستثناءات القليلة في هذا، والسبب يكمن في عدم وجود إدارات عليا وتخصصات دقيقة جداً في التجمعات السكانية الصغيرة. كثيرون أولئك الشباب المتخصصون والأذكياء الذين لا يحبون مغادرة قراهم، أو لايسمح لهم أهلوهمب ذلك، أولا تسمح لهم ظروفهم به، ومن ثم فإن من النادر أن تجد منهم من استطاع تسجيل نجاحات باهرة، وكان بقاؤهم في قراهم خسارة كبرى لهم ولبلادهم وللأمة!.

إن زماننا هذا هو زمان الإنسان المرتحل والقادرعلى تحمل آلام مغادرة مسقط الرأس ليجول في أرض الله عَزَّوَجَلَّ باحثاً عن المكان الأكثر ملاءمة لإنتاجه وعطائه. إن المرء لا يستطيع أن يحصل على كل شيء، وحين يصرَّ على الحصول على شيء ما فإن عليه أن يضحي ببعض مرغوباته ومحبوباته. بعض الناس تطرق الفرص أبوابهم -مع أن هذا قليل- لكنهم يرفضونها، وذلك لأنهم يخشون تحمل المسؤوليات الكبيرة، أوأنهم لا يثقون بقدراتهم وإمكاناتهم، فيخافون من الإخفاق في الأعمال المعروضة عليهم. إن من المهم أن نتذكر أننا نعيش في زمان مشحون بالمنافسة المتصاعدة، ومن ثم فإن الفرصة الكبرى قد لا تسنح في العمر كله سوى مرة أو مرتين، ومن هنا فإن على المرء أن يقتنصها قبل أن

يندم حيث لا ينفع الندم. ولا بد لي من أن أشير هنا إلى أن من غير الممكن أن نصل إلى حلول مثالية في ظروف غير مثالية، ولهذا فإن بعض الناس خرجوا من ديارهم، وسافروا إلى أقطار أخرى، ولم يتمكنوا من اصطحاب أسرهم لأسباب عديدة، فحققوا نجاحات كبرى في أعمالهم، لكنهم وجدوا أنهم خسروا أولادهم الذين تربوا بعيداً عنهم، وخسروا مباهج العيش مع أسرهم... ومن هنا فإن المسألة تحتاج إلى موازنة ودراسة حتى لا تكون الخسائر أكبر من الأرباح. الإشارة الأخيرة في شأن الفرصة، هي أن الفرص كثيراً ما تكون موجودة، وإن علينا أن نؤهل أنفسنا للاستفادة منها، ومن المألوف جداً أن المرء حين ينجح في مهمة صغيرة قد كُلِّف بها، يؤهله نجاحه لفرصة أكبر وأعظم، فإذا نجح فيها هيئ له ما هو أكبر منها، وهكذا.



عناصر النجاح (٤)

من عناصر النجاح الأساسية الطموح، والذي يعني: درجة من التوثب الذهني والشعوري نحو الحصول على شيء مرغوب فيه، والحقيقة أن الله عز وجل فطر البشر على التطلع إلى ما ليس في أيديهم حتى تستمر الحياة في النمو والتجديد، لكن من الواضح أن الظروف التي يعيش فيها الناس كثيراً ما تجعل طموحاتهم محدودة وضئيلة، وعلى مدار التاريخ كانت هناك مشكلة يعاني منها معظم البشر، وتلك المشكلة تتمثل في عدم تفريقهم بين الممكن والمستحيل على نحو جيد، ويبدو لي أن البنية العقلية العميقة للإنسان تميل نحو إصدار الأحكام بالاستحالة على كثير من الطموحات والتطلعات، فما تكاد تذكر شيئاً تتطلع إليه أمام قريب أو صديق حتى يبادرك بقوله : هذا مستحيل، هذا غير ممكن، أنت تحلم، الأحلام مجانية، أنت لا تعرف صعوبة الحياة وهكذا.. وما دروا

أنهم في تلك الأحكام لا يصدرون عن يقين عقلي، لا يقبل الجدل، وإنما يقولون ما يقولونه من أفق خبراتهم الشخصية المحدودة. ومن المهم أن أشيرهنا إلى أن ما نسميه ممكناً ومستحيلاً ومعقولاً وغير معقول، وما نقول عنه : إنه صعب أو سهل، وقريب أو بعيد... إن كل ذلك كثيراً ما يكون نابعاً من الثقافة العامة للمجتمع، ولهذا فإنه يختلف من شخص إلى شخص ومن بلد إلى بلد... أصحاب الطموحات الكبيرة يعرفون ذلك، ولهذا فإنهم لا يلتفتون إلى كلام الناس، ويمضون في طريقهم، وفي الغالب يحصلون على كل ما يتطلعون إليه أو على كثير منه. نحن في المجتمعات النامية نحارب أهل الطموحات، ونقزِّم الأحلام الكبيرة من خلال تهويل العقبات التي سيلاقيها الأبناء إذا حاولوا تجاوز الأوضاع والمعطيات السائدة، ومن خلال الاستخفاف بقيمة المحاولات التي يبذلونها من أجل تحقيق شيء عظيم. المهم عندنا دائماً هو النتائج السريعة، وإذا لم نرها أظهرنا الشماتة، وظهرنا بمظهر الحكماء والخبراء!

على طريق الإبداع وعلى طريق الأهداف العظيمة تكون القيمة الحقيقية ليست للنتائج، وإنما للجهود والمحاولات والاجتهادات... نحن في حاجة إلى تقديم المؤازرة لإخواننا وأبنائنا من خلال تشجيعهم على الأخذ بالأسباب وعمل أفضل ما يمكن عمله، وحين لا يحصلون على ما يريدون فإن عليهم أن لا يعدوا أنفسهم في عداد المخفقين، فأهل الإيمان وأهل النفوس الكبيرة لا يعترفون بالإخفاق، لأنهم دائماً في حالة من الانهماك في تصحيح الأخطاء وتجديد الأساليب والوسائل ومراجعة المقدمات والمنطلقات، ولهذا فعدم النجاح في

محاولة هو نفسه، المحرِّض على القيام بمحاولة ثانية وثالثة، والله عَزَّوَجَلَّ بلطفه وكرمه يُنزل من المعونة والتوفيق على مقدار ما يرى من إخلاص العبد وصدقه وإصراره وعزيمته.





عناصر النجاح (٥)

من أهم العناصر التي تقوم عليها الحضارات الكبرى عنصران : التفاؤل والأخلاق الفاضلة، وهذان العنصران يسهمان أيضاً إسهاماً جوهرياً في نجاح الأفراد، والذي سأتحدث عنه هنا هو العنصر الأول : إذا كانت المعرفة هي خبز الدماغ، فإن التفاؤل هو قوت الروح لأن البديل عنه هو التشاؤم واليأس والإحباط.المشكل في هذا الشأن هو أن البيئات المحطِّمة والظروف الصعبة لا تبعث في نفوس الناس روح التفاؤل، ولا تحرضهم على التفكير بطريقة إيجابية، ومن هنا فإن علينا أن نمارس نوعاً من المعالجة لهذا الأمر. التفاؤل هو الاستبشار بكلمة يسمعها الإنسان أو بفعل أو منظر جميل يراه، وهو ينطوي على نوع من حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن وقد سمّى بعض الصحابة بأسماء جديدة جميلة تبعث على التفاؤل، وفسّر مرة الفأل بأنه

الكلمة الصالحة يسمعها المرء. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يكون الإنسان متفائلاً؟ وكيف يكون التفاؤل أحد مقومات النجاح؟

وفي إجابة هذا أقول:

١- على الإنسان أن يطوي ملفات الماضي المشتملة على الأخطاء الفادحة والإخفاقات الكبرى بعد أن يكون قد أخذ العبرة منها، وذلك لأنها توّلد التشاؤم، وتضعف الثقة بالنفس، كما أن عليه أن يدير ظهره لتوجيهات المتشائمين وأهل التجارب المريرة.

٢- من المهم الإفلات من أسر اللحظة الحاضرة، لأن الحاضر كثيراً ما يضيق عمّا نريد، أو قل: إننا لا نرى من إمكانات الحاضر إلا جزءاً يسيراً، والباقي يُرى من خلال مباشرة العمل وممارسة السير في الواقع، وأنا أفهم هذا المعنى هذا من قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

٣- أن يحدث المرء نفسه بالمعاني التي تدل على الثقة بمعونة الله عَزَّوَجَلَّ ولطفه وكرمه، والكلمات التي تدل على ثقته بقدراته وإمكاناته، وعلى تمتعه بما هو مطلوب من الإرادة الصلبة والعزيمة الماضية، مع تذكر تجاربه الناجحة في حياته الشخصية. إن اللغة ليست أداة للتفكير أو وسيطاً لنقل المعاني فحسب، إنها أكثر من ذلك، إنها تصنع المشاعر والاتجاهات، وتساعد على فتح حقول جديدة للممارسة والتقدم.

٤- هناك إمكانية دائمة لأن نرى الأشياء بطرق مختلفة، ولأن نرى بعض وجوهها دون بعض، وإن من التفاؤل أن نبحث عن الوجه الجميل لها، لأن ذلك يحسّن

الوضع النفسي لنا، كما أنه يؤدي إلى نوع من التفتح الذهني، ومما يروى في هذا السياق أن عيسى - عليه السلام- مرّ مع نفر من حوارييه على شاة ميتة، فقال: صفوها لي، فأخذوا يتحدثون عن قبح منظرها، ونتن ريحها.... فقال لهم عيسى: لم يقل أحد منكم: ما أشد بياض أسنانها؟!

٥- الإقلال من النقد ومن الشكوى، لأن ذلك يجعل المرء منغمساً في رؤية السلبيات ونقاط الضعف، ومع أن النقد يشكل شيئاً جوهرياً في الإصلاح إلا أن من المهم على صعيد النجاح أن نركز دائماً على إيجاد الحلول وتوفير البدائل، والدلالة على الطرق المفتوحة، فهذا مما يبعث الأمل في النفوس، ومما يحرِّض على الاندفاع نحو تلمس الآفاق الرحبة.



الرغبة في القراءة

لدينا حقيقة مهمة لكنها غائبة عن وعي كثير من الناس، تلك الحقيقة هي أن الرغبة تُصنع صناعة على أيدي المربين والمعلمين، وبتأثير من المحيط والبيئة السائدة، وأود هنا أن أتحدث عن نموذج للرغبة المصنوعة، وهو الرغبة في القراءة، لعلي أستطيع ترسيخ القناعة بهذه الفكرة:

يقولون: أنت لا تستطيع معرفة اهتمامات الناس حين يكونون مشغولين، لكن أعطهم وقتاً حراً، أو اجعلهم في موقف ينتظرون فيه حدوث شيء، ثم تأمل في الأمور التي ينشغلون بها، وهذا صحيح، وقد رأيت أن الانتظار مدة أربع أو خمس ساعات في المطارات الدولية بين رحلة ورحلة يكشف فعلاً عن اهتمامات الناس، وقد رأيت ذلك مرات عديدة، كما رآه غيري؛ فالأوربيون ـ والغربيون عموماً- تكون معهم ـ غالباً ـ كتبهم وحاسباتهم الشخصية، وبها يملؤون وقت الانتظار

الثقيل والممل، أما أبناء ما يُسمّى بالدول النامية فإنك ترى معظمهم حائرين في ملء الفراغ الذي أتيح إليهم؛ فمنهم من ينام على كرسيه، ومنهم من يذهب إلى مكان تناول القهوة والشاي، ومنهم من يقلِّب نظره في الجالسين والعابرين.. ولا شك أن الفارق بين هؤلاء وأولئك لم يأت من الموروث الجيني، وإنما من التربية والتنشئة والبيئة.

لو تساءلنا عن أساليب تحبيب القراءة إلى الصغار، فإن الجواب سيُغرقنا في العشرات من التفاصيل الصغيرة، فلنتحدث إذن عن المبادرات والأساليب الأساسية، وهي أيضاً كثيرة، ولعل أهمها الآتي:

١- أسرة مهتمة:

الخطوط العميقة في شخصية الطفل تُرسم في السنوات الست الأولى من عمره، ولهذا فإن الأسرة هي التي تتحمل العبء الأكبر في صناعة رغبات الطفل، ومنها الرغبة في القراءة. إن الأسرة هي التي ترجِّح ما أمام الطفل من خيارات، وهي التي توجِد في نفسه الميل إلى القراءة والرسم والتلوين والكتابة، كما أنها هي التي تتيح له أن يتعود الانغماس في اللهو واللعب والخروج مع الرفاق وتتبع الأمور التافهة؛ ولهذا فإن اهتمام الأسرة بتعويد أطفالها القراءة هو شرط أولي وأساسي، ولطالما كان الاهتمام أباً للفضائل.

٢- أسرة قارئة:

الأسرة القارئة ليست هي الأسرة المتعلمة، لكنها الأسرة التي يمارس أفرادها القراءة كل يوم؛ إذ إن الطفل حيثما يلتفت يجد أباً ممسكاً بكتاب، أو أخاً يرسم شيئاً، أو أماً تشرح لأخيه شيئاً غامضاً في أحد المقررات المدرسية... إن مشاهدات الطفل لهذه الأنشطة تجعله يوقن بأن العيش مع الكتب والورق والأقلام هو العيش الطبيعي، وقد أجرت الرابطة الأمريكية لمجالس الآباء استطلاعاً حول موضوع القراءة لدى الصغار، وقد تبين من ذلك الاستطلاع أن (٨٢٪) من الأطفال الذين لا يحبون القراءة لم يحظوا بتشجيع آبائهم وأمهاتهم، ولا ريب أن التشجيع على القراءة لا يكون بالحث ولكن بإيجاد جو، يقتدي فيه الصغار بالكبار؛ ولهذا يمكن القول: إن أطفالنا لا يمارسون نشاط القراءة؛ لأننا نحن الكبار لا نفعل ذلك!

٣- المكتبة المنزلية

حين تدخل إلى بيوت معظم الغربيين تجد الكتاب في كل ركن من أركان المنزل، ولهذا فإن الطفل يألف وجود الكتب، ويألف رؤية من يقرؤها في كل وقت. كثير من بيوتنا خالٍ من أي مكتبة، وبعضها فيه مكتبات، ولكنها أشبه بالمتاحف؛ إنها لتزيين المنزل، وليست لنفع أهله، لهذا لا تمتد إليها أي يد! المطلوب أن تكون هناك مكتبة تغذي عقول الصغار والكبار، ويشترك جميع أفراد الأسرة في اختيارها، وهي تحتاج إلى تجديد وتغذية مستمرة.



٤- ضبط استخدام وسائل التقنية:

قد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن التلفاز والإنترنت والجوّال والألعاب الإلكترونية قد أضعفت القدرة على التركيز لدى الناشئة، وجعلت معظم اهتماماتهم قصيرة الآجال، وهذا مضادّ لكل عمليات التثقف الرصين، ومن هنا فإن على الأسرة ألا تسمح بدخول "الكتاب" في منافسة مع الأدوات الإلكترونية؛ لأن هزيمة الكتاب ستكون حينئذ محقَّقة، ولهذا فإن من المهم جداً ألا يُسمح للأطفال باستخدام "النت" والجلوس أمام التلفاز... إلاّ مدة ساعة أو ساعتين يومياً، وحينئذ سنجد أن الأطفال يتجهون إلى قراءة القصص والروايات والكتب بوصفها المخرج الوحيد من الملل والسأم، ومع الأيام يشعرون بمتعة القراءة وتتعلق قلوبهم بالكتب.

إن صغارنا سيتملكون الرغبة في القراءة حين ندرك نحن الكبار أن مسؤوليتنا تجاه تثقيفهم وتغذية عقولهم لا تقل عن مسؤوليتنا عن تغذية أجسامهم.



دعوة إلى التركيز (١)

في زماننا تتضاعف المعارف - وسطياً - كل عشر سنوات؛ وهذا يعني وجود حاجة مستمرة إلى المزيد من التخصص، والتركيز في طلب العلم والتوجه البحثي وإلا وجدنا أنفسنا غرقي في طوفان المعلومات المشتتة عاجزين عن الإمساك بأي خيط أو متمكنين تمكناً ظاهراً من معرفة أي موضوع، وهذه بعض الملاحظات السريعة في هذا الشأن المهم والحيوي :

حين نقرأ في تخصص من التخصصات العلمية نكون في بداية أمرنا كمن يدخل إلى غرفة مظلمة؛ حيث إنه يأخذ بتحسُّس الأشياء واكتشافها على سبيل التدرج، وكلما كانت الغرفة أكبر كانت معرفة ما بداخلها أشق، واحتاجت إلى وقت أطول، وستكون عملية الاكتشاف شبه مستحيلة إذا كانت تلك الغرفة تفتح على دهاليز وممرات وفضاءات فسيحة، كما هو الشأن فيمن يريد فهم (التاريخ

الإسلامي)؛ حيث إن عليه أن يتضلع من العلوم السياسية والاجتماعيةالاقتصادية وعلوم الإنسان والبيئة وعلوم أخرى، ولهذا فلابد من التركيز على بلد معين في حقبة زمنية محددة، وإلا كانت أقواله ورؤاه عمشاء وحولاء، وربما حجبت أقوالُه وتحليلاته حقيقة ما جرى في الماضي، أو شوَّهته وحرَّفته!

التركيز يعني رؤية تفصيلية مدققة في مساحة أو قضية صغيرة، والمرء حين يتخصص في فرع من فروع المعرفة الدقيقة يطلع على شيء محدود لكنه يراه بطريقة أفضل، أما غير المتخصص فإنه يطلع على الكثير الكثير من المعارف، لكنه لا يستطيع أن يراها بشكل واضح، ويجد نفسه عاجزاً عن نقد ما يراه أو تعليله أو الإضافة إليه، ولا يستطيع أحد أن ينجو من هذه المعادلة الصارمة والسنة الماضية، وذلك لأن الكمَّ لا يكون إلا على حساب الكيف، كما أن الكيف لا يكون إلا على حساب الكم.

نحن لا نريد اليوم الإحاطة بالعلوم والسيطرة عليها والاستكثار منها لغايات ترفيهية، أو لدواعٍ مظهرية وشكلية - كما كانت عليه الحال في بعض مراحل تاريخنا -، وإنما نريد توظيف المعرفة في خدمة الناس وإرشادهم ومساعدتهم على الوفاء بمتطلبات العبودية لله عَزَّوَجَلَّ وتحسين أحوالهم المعيشية، وهذا يتطلب شيئاً مهماً، هو (الإبداع) في اختيار الموضوعات التي نتخصص فيها، وفي توظيف المعارف والمعطيات التي يتمخّض عنها البحث العلمي الرشيد.وإذا تأملنا في كثير من البحوث العلمية والرسائل الجامعية التي يشتغل على إنجازها الألوف من الشباب المسلم، فإننا سنجد أن لدينا مشكلة عويصة؛ فهذاباحث يقضي سنوات

من عمره في تحقيق كتاب تراثي لا يشكل إخراجه أي إضافة لما هو منشور في فنه، وربما وجدتَ من يعمل على تحقيق كتاب لم يهتمّ به طلاب العلم وقت تأليفه قبل أربعمئة سنة؛ بسبب ضعفه أو عدم الثقة بمؤلفه، وهذا باحث يشتغل على مسألة ضئيلة وصغيرة وهامشية للغاية، حتى يصح أن نقول فيه: (إنه يعرف كل شيء عن لا شيء)! ويستشعر في نهاية المطاف أنه ليس عنده ما يتحدث عنه، كما أنه لا يعرف كيف يتخذ منه وسيلة لتشكيل دوره الإصلاحي في الحياة العامة.

ليس التركيز الذي نحتاج إليه عبارة عن حشد كمٍّ هائل من المعلومات المتخصصة، فهذا على أهميته ليس هو المطلوب الأساسي، إنما المطلوب هو توليد مجموعة من الملاحظات الذكية والبارعة التي تساعدنا على فهم الطبائع التي فطر الخالق عز وجل الأشياء عليها، إلى جانب فهم السنن النفسية والاجتماعية التي تحكم حركتنا في هذه الحياة.

إن الشريعة الغراء على مستوى العقيدة والأحكام والآداب، توفِّر لنا الدليل والنظام الذي علينا اتباعه في التعامل مع الطبائع والسنن، ومن المعروف أن هناك أفكاراً كثيرة جداً حول نوعية العلاقة التي تربط الثقافة بالطبيعة، وحول تأثير كل منهما في السلوك الإنساني. نحن في الحقيقة نحتاج إلى من يرشدنا إلى كيفية تهذيب الطبيعة بالثقافة، وكيفية التعامل مع سُنَّة من السنن الكونية من أفق معرفتنا بسنة أخرى، وهذا ما ألاحظ غيابه عن كثير من بحوثنا وطروحاتنا؛ والسبب هو عدم وجود قدر كافٍ من الاهتمام برؤية الأشياء على ما هي عليه بعيداً عن الخلفيات الثقافية الموروثة.



إذا أردنا أن نستفيد من التركيز في التحصيل العلمي وفي البحث والتطوير، فإننا نحتاج إلى شيء مهم؛ هو محاولة فهم النشأة الأولى للظواهر التي نتخصص فيها، ومعرفة الأطوار والمراحل التاريخية التي مرت بها،و نحن جميعاً نعرف أننا لا نستطيع فهم أي شيء على نحو حسن إلا إذا فهمنا تاريخه، ويؤسفني القول: إن قلة ما نعرفه عن تاريخ التخصصات العلمية والظواهر الاجتماعية التي نحاول استيعابها، هي أكبر نقطة ضعف في مناهجنا وكتبنا وبحوثنا، هذا مع أن نحواً من ثلث القرآن الكريم يتحدث عن أخبار السابقين والمراحل التاريخية التي سبقتنا!



دعوة إلى التركيز (٢)

كل المعارف والفنون والمؤسسات والمهن وكثير من الأشياء يبدأ عاماً وشاملاً، ثم يتجه نحو التخصص والتركيز، وذلك يعود إلى اتساع دوائر الحياة وتراكم وتضخم المعارف والخبرات، وتكاثر أعداد الناس وتنوع احتياجاتهم، وأسباب أخرى... لكن هذا الميل إلى التفريع مع أنه شيء طبيعي وبدهي؛ إلا أنه في شدته ونوعيته مرتبط بالتقدم الحضاري لكل أمة، وعلى سبيل المثال فإنك لو ذهبت إلى بعض الدول الفقيرة والمتخلِّفة، فستجد القليل من الأطباء العامِّين، وستجد عدداً محدوداً جداً من الأطباء المتخصصين، أما الأطباء الاستشاريون والممتازون جداً، فقد لا تجد منهم أحداً، ومن هنا يمكن القول : إننا إذا أردنا النهوض بأي جانب من جوانب الحياة، فإن علينا أن نوفر له عدداً كبيراً من الباحثين والمهتمين؛ فالشيء في الغالب يرتقي إذا كثر المهتمون والمشتغلون به، ويتراجع ويذبل إذا أعرض الناس عنه.

وهذه بعض الملاحظات في مسألة التركيز :

١- لابد لمن يريد أن يختار تخصصاً من التخصصات أن يفكِّر قبل الإقدام عليه في مدى حاجة بلاده وجماعته إلى ما يريد أن يكرِّس حياته من أجله، وذلك لأن الحاجة إلى شيء من الأشياء تولّد طاقة كبيرة محفِّزة على العمل، كما أن المجتمع حين يحتاج حاجة فعليَّة إلى تخصص من التخصصات أو مهارة من المهارات أو مهنة من المهن، يوفر له الوظائف والأموال، وهذا يعني تمكُّن الباحثين والمتخصصين من الاستمرار في عملهم؛ لأنه صار مرتبطاً برزقهم ومعيشتهم، وأعتقد أن هذا المفهوم يشكل أهمية بالغة لنا جميعاً، وقد كان الارتباط بين العلم والرزق واهياً في الماضي، كماأن الغالب على طلاب العلم والباحثين في معظم التخصصات هو الفقر والقلة، وقد كانوا يقولون : فلان أدركته حرفة الأدب؛ حيث كانوا ينظرون إلى الاشتغال بالآداب على أنه مظنة للعدم والمسكنة!

ومما يلاحظ في هذا الإطار أن كثيراً من الشباب ركّزوا جهودهم في تخصصات قد تكون جيدة ومفيدة، لكن مجتمعاتهم ليست في حاجة إليها، وقد رأينا مَنْ تخصص في الفيزياء النووية وليس في بلاده أي منشآت أو برامج نووية، وهناك من تخصص في إحدى الجامعات الغربية ببرمجة الألعاب الإلكترونية، وحين عاد إلى بلاده لم يجد أي شركة أو مؤسسة متخصصة في ذلك، ونجد من الشباب من تخصص في إدارة تقنية المعلومات وبلده متخلف يحتاج إلى عشر سنوات على الأقل حتى يوظّف متخصصين في هذا الفرع من المعرفة، إن جميع

هؤلاء يجدون أنفسهم مضطرين للعمل في غير ما يُحسنونه، وبذلك لا يجدون كفايتهم، ولا ينفعون بلادهم على النحو المطلوب والمأمول.

٢- لا يكفي للتركيز على تخصص أو مشروع أو عمل معين أن يكون الناس في حاجة إليه، بل لا بد من أن يكون من يريد القيام بذلك مؤهلاً له، أو نقول: لا بد من وجود من يملك الرغبة القوية في الاهتمام به، و يملك الموهبة والقدرة على إنجازه، وأعتقد أن كثيراً من الشباب لديهم مشكلة كبيرة في التعامل مع هذا الشرط؛ فقد وجدت أن منهم من يدرس تخصصاً على غير دراية بمضامينه وبمدى ملاءمته له أو قدرته على النجاح فيه، والذي دفعه إلى ذلك هو وجود عدد من الأعلام الكبار المعروفين بدراسته والاهتمام به، فيظن أنه إذا درسه صار مثلهم، ومن الشباب من يفعل ذلك لأنه قرأ كتاباً جميلاً فيه، أو سمع من يتحدث حديثاً بارعاً في بعض قضاياه، فينجذب إليه، فإذا بدأ بالدراسة (الأكاديمية) وجد ما لا يجذب وما لا يسر، وقد حدث هذا في كثير من التخصصات، ولا سيما تخصصات علم النفس وأصول التربية وإدارة الأعمال.

حين تتوفر الرغبة والقدرة في تخصصٍ ما، ويبذل الإنسان جهداً فائقاً على مدار خمس عشرة سنة أو عشرين سنة، فإنه يستطيع بحول الله أن يخدم الأمة من خلاله على نحو ممتاز، مهما يكن التصنيف الشعبي لذلك التخصص وأصحابه؛ إذ إن المرء حين يكون واحداً من الثلاثة أو الخمسة الأوائل في علم من العلوم على مستوى القُطر أو الإقليم، فإنه يكون قد تجاوز قنطرة نوعية التخصص؛ لأن الأمة تظل في حاجة إلى المبرِّزين والمبدعين الأفذاذ في كل جانب من جوانب



الحياة، فالمقاعد في الصف الأمامي لا تمتلئ حتى تَفرَغ من جديد!

٣- نحن لا نريد متخصصين وحَمَلة شهادات فحسب، فالحقيقة أن لدينا عشرات الألوف منهم، وهم يشكلون القاعدة الأساسية لتطوير العلوم والمعارف لدينا، لكن الأمة تعاني من علة قديمة ربما مسَّت كل جوانب حياتها، وتلك العلة هي أنه ربما كانت لا تفعل الأسوأ ولا ترتكب الأشنع، لكنها أيضاً لا تفعل الأفضل والأعظم. وهذا واضح جداً فيما نحن فيه بصددده؛ فمع أن الأمة تشكل نحواً من (٢٠٪) من سكان الأرض؛ إلا أنها لا تحتل في التعليم الجامعي المتفوق وفي مجال الفكر والبحث العلمي والإبداع في التخصصات كافة من المقاعد الأمامية إلا ما يقارب (١٪)، وهذا شيء يدعو إلى الأسى!

نحن نريد نماذج عالمية؛ نريد المؤلف الذي تترجم كتبه إلى عشرين لغة، ونريد الجراح الذي يسهم في تطوير أدوات الجراحة، ونريد الداعية الذي يتابعه عشرات الملايين، نريد هؤلاء وأمثالهم؛ لأنهم هم الذين يرفعون السقف الحضاري، ويستطيع كثيرون منا أن يكونوا منهم بشرط النظر إلى كل ما سوى التقدم في التخصص على أنه شيء هامشي لا يستحق أن نتوقف عنده.



نحو الأحسن

يُثبت العديد من الدراسات أن الثروة الأساسية لدى الأمم هي ثروة كامنة وغير ملموسة، وتلك الثروة تكمن في العلوم والمهارات وعادات الناس والنزاهة والعدالة والقدرة على جذب الاستثمارات الخارجية...

ولا أريد الخوض في هذه المسألة الآن، لكن الذي أودُّ أن أؤكد عليه هنا هو أن هناك دائماً طاقة غير محررة ووقتاً غير مستثمَر، وموهبة غير مكتشَفة، كما أن هناك دائماً نوعاً من الارتباك في إدارة الذات وتوجيه الجهود نحو الأهداف على النحو المطلوب، وهذا في الحقيقة يؤشر إلى شيئين مهمين:

١-قصور الإنسان وضعفه وبعده عن الكمال.

٢-وجود إمكانية هائلة للتقدم على الصعيد الروحي والخلقي والعقلي والاجتماعي؛ حيث لا نجد حدوداً للتقدم على هذه الصُّعد، أو قيوداً على إيقاع ذلك التقدم.

لو تساءلنا كيف نساعد أنفسنا على المضي نحو الأحسن في وضعيتنا العامة، لأمكننا أن نشير إلى العديد من المبادئ والإجراءات، والتي من أهمها الآتي:

١- التحرر من اليأس والإحباط، حيث إن البيئات التي يغلب عليها الجهل والفقر والظلم تعلِّم الذين يعيشون فيها السلبية، وترسل لهم فيضاً من الرسائل التي تزرع في أعماقهم الإعراض عن المحاولة والتجريب والبحث، وذلك باختصارلأن هذه الأشياء عقيمة، ولا جدوى منها. وقد ثبت أن الناس يتعلمون اليأس ويتعلمون أيضاً التفاؤل، ونحن نريد أن نتعلم التفاؤل من خلال إيماننا العميق بكرم الله عَزَّوَجَلَّ ولطفه ومعونته، ومن خلال الفرص المتجددة التي يقلِّب الله عَزَّوَجَلَّ فيها عباده. إنه ما تذهب فرصة، إلا وتلوح في الأفق فرصة أخرى، وما يُغلق باب من أبواب الخير إلا ويفتح باب آخر، لكن الطريقة التي رُبِّينا بها، والبيئات التي نعيش فيها، تدفعنا نحو الانشغال بالفرص الضائعة والتألم على الأبواب المغلقة، عوضاً عن أن نندفع للبحث عن الفرص الجديدة والابتهاج بالأبواب المنفتحة، وما أعظم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: ٥-٦)

٢- مع تعقيد الحياة الحضرية وظروف العيش الصعبة تولد الخيارات وتبرز البدائل، ولكن وفق شروط جديدة، ولابد للاستفادة من تلك البدائل من الوعي بتلك الشروط والعمل على توفيرها.

٣- نحن في حاجة إلى امتلاك المفاهيم التي تجعلنا أقوى على التغيير وأقوى على مواجهة المغريات، كما أننا في حاجة إلى التخلص من المفاهيم التي تكبِّلنا،

وتلقي بنا في دروب المتاهة والعجز والجمود، ومن المفاهيم التي تساعد على النمو والتحسن المفاهيمُ الآتية:

١- التفاؤل والوعي يشكلان البداية الصحيحة لكثير من الأشياء.

٢- إذاكان لا بد لي من أن أبدأ، فَلأن أبدأ اليوم خير لي من أن أبدأ غداً.

٣- إذا لم أساعد نفسي لم يساعدني أحد.

٤- ما عند الله عَزَّوَجَلَّ من الهداية والمعونة والتوفيق يُنال بطاعته والأوْبة إليه.

٥- من خلال الأعمال الصغيرة المتراكمة تولد الأعمال والإنجازات العملاقة.

٦- الإنسان ليس ضئيلاً، لكنه كسول إلى حد بعيد.

٧- ما أمامي من الخير والإنجاز والازدهار أكثر بكثير مما مضى، ومما هو كائن الآن.

٨- من خلال مجاهدة النفس والتخلّص من العادات السيئة، يصبح كل شيء أفضل.

٩- العلاقات الحسنة بالناس مصدر أمان، وباب من أبواب الرزق.

١٠- كلما تحسنت إمكانات الإنسان، واتسعت دائرة نفوذه صار احتياجه إلى التعاون مع الآخرين أشد.

أما المفاهيم التي تسبب اليأس والعجز وتكلس الأوضاع؛ فهي أيضاً عديدة، ولعل من أهمها:

لو درستُ في جامعة جيدة لحصلتُ على وظيفة جيدة.

لا أعرف لماذا لا يحبني زملائي.

قلة ما بين يدي من مال هي الداء الذي لا دواء له.

حاولت كثيراً التخلص من بعض عاداتي السيئة، لكني لم أفلح.

لا أشعر أنني موهوب، ولهذا فمع الكثير من الجهد فلن أحصل على شيء يذكر.

ما دخلت في مجال من المجالات إلا شعرت أن هناك مؤامرة تُحاك ضدي.

نومي ثقيل، ولا أعرف كيف أتعامل معه، ولهذا فإن فوات صلاة الفجر مني أمر لا مفرَّ منه.

هذا الزمان مملوء بالشرور والأشرار، ولهذا فإن الأمل في الإصلاح ضعيف.

حاولت أن أتعرف على نقاط القوة لدي، فلم أفلح، فأنا على ما يبدو إنسان عادي بكل المقاييس.

كلما ظننت أنني لن أكرر أخطائي، وظننت أني سأتعلم من تاريخي الشخصي، خاب ظني.

هذه المفاهيم هي على مستوى ما، مفاهيم سلبية وخاطئة، والتخلص منها شيء ممكن، بل هو شرط للتحسن والإنجاز. من خلال التبصر الذاتي وصحبة الأخيار أهل الفطنة والهمة، ومن خلال التأمل في سنن الله في الخلق، سنجد الكثير الكثير من الإمكانات، والكثير الكثير من الأشياء الجيدة التي نضيفها إلى حياتنا الشخصية.



إضافات مستمرة (١)

كثير من الناس يخشون من طرح الأسئلة، إما لأنهم يخافون من صدمة الأجوبة التي ستأتي عليها، وإما لأنهم لم يتعودوا ذلك خلال مراحل التعليم المختلفة، وإما لأن البنية الثقافية العميقة لديهم تمّ تشكيلها على نحو يجعلها في شوق دائم إلى الأجوبة والحصول على المعلومات الجاهزة... نحن نتحدث كثيراً عن اليأس والإحباط وأشكال الإخفاق الذي تعاني منه الأمة في كل المجالات، لكن من النادر أن نتساءل بطريقة علمية وفنية عن أسباب ما يحدث لنا، والأندرمنه التساؤل عن الشيء الذي يمكن أن يقدمه كل واحد منا على طريق تحسين الأوضاع الراهنة! دعونا نضع بعض اللمسات الخفيفة في هذه المسألة :

١- واقع الأمة بكل إشراقاته وإخفاقاته هو حاصل ما تركه لنا الأسلاف وحاصل مواقفنا وجهودنا اليومية على الصعيد الشخصي والعام، ولا ننفي التأثيرات

السلبية والسيئة التي يتركها الأعداء والخصوم في أوضاعنا المختلفة، لكن إذا أخذنا بالمقولة الذكية: «لا أحد يستطيع أن يؤذيك من غير إذنك» ونفذنا قبل ذلك إلى أعماق قول الله- عز وجل -: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ فسنجد أن المسألة داخلية بحتة، وعلاجها ينبغي أن يتم على نحو جوهري من خلال الجهد الداخلي. يجب أن تصل هذه الحقيقة إلى أكبر عدد ممكن من الناس؛ لأن الناس هم مصدر الداء، ولديهم أيضاً الدواء.

٢- علينا ونحن نتحدث عن تأزمات مجال من المجالات- التربوي أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو الوظيفي مثلاً- أن نتساءل: إلى أي حد يمكن أن أكون (أنا) جزءاً من المشكلة في هذا المجال؟ وكيف يمكن لي أن أكون جزءاً من الحل؟ هذا السؤال من أصعب الأسئلة التي يلقيها المرء على نفسه، لأنه يتطلب- ببساطة- معرفة جيدة بالمشكلات السائدة في ذلك المجال، ومعرفة مقاربة بالحلول التي يمكن أن نصير إليها من أجل معالجة تلك المشكلات. وأظن أن علينا أن نفرح بالأسئلة الصعبة، لأنها تستحثنا على التزود بالمعرفة وتوسيع مساحة إدراكنا لما حولنا.

علينا أن نتذكر في هذا السياق أن المرء الذي لا يستطيع حل مشكلاته الخاصة، يتحول هو نفسه إلى مشكل اجتماعي وإلى عبء على الدولة أو على أسرته أو على جهة عمله، وهو بذلك يكون بمثابة من يسحب من الرصيد الحضاري للأمة عوضاً عن أن يضيف إليه!

٣- لا حدود للترقي الفكري والخلقي والروحي، فالمجال مفتوح أمام كل واحد في

كل حين ليودع في رصيده الشخصي المزيد من الصلاح والبر والنجاح والتألق... لكن بشرط ألا نزهد في الإضافات الصغيرة التي هي في وسع كل واحد منا: الابتسامة في وجه شخص نمر من جانبه وإلقاء السلام عليه، المسح على رأس طفل يمشي مع أبيه في السوق، كلمة شكر ودعاء صادق لشخص أعطانا انتباهه، ولموظف قدم لنا خدمة، دعوة شخص إلى معروف، ونهي شخص عن خطأ يقع فيه، وتعليم لشخص يسيء في صلاته، وإزالة قشرة موز أو حجر من طريق، وفكرة رائعة نقدمها في جلسة سمر، وندير نقاشاً حولها، ومفاجأة سارة للأهل في البيت والزملاء في العمل.. هذه كلها إضافات صغيرة ومحدودة، لكن حين يهتم بها عدد كبير من الناس، فإنها لا تكون صغيرة، وكما قال أحدهم: إذا كان البحر مكَوناً من قطرات الماء، وإذا كان الجبل مكَوناً من حبات الرمل، فليس هناك إذاً شيء صغير!

٤- سيصبح الواحد منا جزءاً من الحل من خلال كف أذاه عن الناس ومن خلال تجويد عمله إلى أقصى حد ممكن، ومن خلال المبادرات الصغيرة والكثيرة التي يطلقها في مجتمعه... وأود أن أختم هذا المقال بالقول: إن مشكلة المسلمين ليست مع المستحيل، وإنما مع الممكن، وليست مع الصعب، وإنما مع السهل، وليست مع البعيد، وإنما مع القريب... هذه هي الحقيقة التي ينبغي ألَّا تغيب عن البال.



إضافات مستمرة (٢)

تعالوا بنا ننظر إلى حياتنا العامة على أنها معرض واسع شاسع للوحات فنية أخاذة ومعبرة، وقد رأى كل واحد منا أن يساهم بلوحة - هي أفضل ما لديه - في ذلك المعرض، لكن تلك اللوحة من نوع فريد وخاص جداً؛ لأن تلك اللوحة هي الحياة الشخصية لكل واحد منا.

اللوحة البيضاء الخام التي سنرسم عليها هي تلك الإمكانات التي أتاحها الخالق عز وجل لنا من غير حول منا ولا طول؛ إنها الوقت والصحة والأهل والأقرباء والزملاء والمعارف وبعض الأشياء..أما الفرشاة فهي ما لدينا من إرادة وعزيمة وخبرة وعلم..وأما الألوان التي سنستخدمها فهي مستخرَجة من العقل والقلب، إنها من قبيل الإيمان، والحب، والصبر، والجلد، والمثابرة، وتربية النفس، وحب الخير للناس، والتعاون، والغيرة، وفهم الواقع، والطموح، والمستقبل، والتفاعل



الإيجابي، والقدرة على استخلاص العبرة من الأحداث.

أما الإناء الذي ستخلَط فيه الألوان وتتمازج فهو عبارة عن طريق ذي مسارين: مسار الإمامة في الدين، ومسار الجودة الشاملة.

بهذا المعنى وهذه الرؤية تكون كل لحظة من لحظات حياة الواحد منا عبارة عن لمسة فرشاة نضع فيها كل ما لدينا من حرص واهتمام وذوق وفن ورجاء، ومع كل لمسة يولد جزء من اللوحة العملاقة، ونشعر أننا خطونا على صعيد اكتمالها والفرح بعرضها في أبهى مكان في ذلك المعرض. سوف نجد ونحن نرسم لوحاتنا أن هناك أشياء كثيرة مشتركة بيننا، مما يتطلب من كل واحد منا إذا أراد للوحته أن تلفت الانتباه، وتنال الجوائز أن يبحث عن شيء تنفرد به تلك اللوحة عن كل اللوحات المعروضة. وفي هذا السياق فإنه كما أن هناك لوحة تنال الجائزة الأولى في أحد المعارض، فإن هناك لوحة تنال الجائزة الأولى في عشرين معرضاً، وهناك لوحة اللوحات التي لا يطمح إلى منافستها أحد!

اللوحة التي تحصد الجوائز هي اللوحة التي تشكل إضافة حقيقية، والمسلم الذي يشكل إضافة حقيقية للأمة هو الذي يقدم نموذجاً للمسلمين عامة في مجال من المجالات، كما قدم عمر بن الخطاب على مستوى العدل، وقدم خالد بن الوليد على مستوى القيادة الحربية، وقدم صلاح الدين على مستوى توحيد الأمة... وقد يقدم نموذجاً فذاً على مستوى محيطه وبلده، كما يفعل الكثير من النابهين على الصعيد المحلي في كل مكان من ديار الإسلام. اللوحة المميزة لم تتميز بتفصيل أو تفصيلين من تفاصيلها، وإنما تميزت باشتمالها على

مئات التفاصيل الصغيرة التي تعبر عن تميز ثقافي وفني، وهكذا حياة الرجال العظام مملوءة بالأشياء العظيمة والمبادرات الفذة، والتي صنعت منهم في نهاية المطاف نموذجاً رفيعاً.

في زمان العولمة؛ إذ أصبح كل شيء عند بعض الناس -على الأقل- قابلاً للمساومة والبيع والشراء والتفاوض والتنازل، قد تكون الإضافة المطلوبة هي (الممانعة) والصمود في وجه المغريات المحتشدة من كل مكان؛ حيث يُثبت الشرفاء الأباة من خلال الكلمة والموقف والمبادئ، أن القيم تشكل بالنسبة إليهم الماء والهواء، وهم مسرورون بتلك الممانعة؛ لأن فيها راحة الضمير والانسجام بين السلوك والمعتقد، لكن الأخيار من أبناء هذه الأمة يدركون أيضاً أنه لا يليق أن يكون موقفهم موقف المحاصَر.. والمحاصَر لا يأتي بخير -كما تقول العرب- ولهذا فإنهم يقومون بإبعاد نفوسهم الصغيرة المكبلة بالعجز والوهم والخوف عن طريق نفوسهم الكبيرة القادمة من قلب العاصفة التي أثارتها عزائمهم المتقدة، وثقتهم غير المحدودة بكرم الله ومعونته، لتغني طموحاتهم الكبيرة المشهد العظيم، وتغتني حياة الأمة بالإضافات المستمرة.



الرؤية المركَّبة (١)

في هذا الكون عدد كبير من الثنائيات، حيث نلمس في حياتنا المعنويَّ والمادي، والقريبَ والبعيد، والمباشرَ وغير المباشر، والمرئيَّ والخفي، والذاتيَّ والغيري، وقويَّ التأثير وضعيفه، والمرادَ وغير المراد، والمقصودَ والعفوي... وهذه كلها تؤثر في حياتنا وقراراتنا ونجاحاتنا على درجات متفاوتة. ويمكنني أن أتشجَّع وأقول: إننا إذا دقَّقنا النظر في كل ما يحيط بنا، فإننا لن نجد أي شيء يمكن أن نصفه بأنه بسيط أو أحادي، حيث إن الأسباب والظروف والمعطيات التي تكتنف حياتنا ليست معزولة، وإنما هي ذات علاقات وامتدادات كثيرة وطويلة؛ وهذا كله يفرض علينا ألا نركن إلى الفهم الجزئي السريع، وأن نحاول دائماً توسيع الرؤية حتى نتمكن من إدراك كل أبعاد الظواهر التي نعايشها. إن من سنن الله عَزَّوَجَلَّ في الخلق احتياج الظواهر الإنسانية الكبرى إلى تفسير معقد يشتمل على عدد

من العوامل والأسباب، وإن من الابتسار ومجانبة الصواب اللجوء إلى الاقتصاد في اكتشاف العوامل المؤثرة في وجود الأشياء وتطورها. وقد تعوَّد كثير من الناس الاختزال، والمسارعة إلى التفسيرات الغريبة لما يرون ويسمعون من أحداث وأوضاع، وهذا دفع بهم في اتجاه اللجوء إلى المعالجات الجزئية لمشكلات ذات أسباب مركَّبة ومعقدة، ومن الطبيعي حينئذ أن يكون الإخفاق أعظم من النجاح. ولعلِّي أسوق بعض الأمثلة الموضحة لما أقول:

١- الفقر:

الفقر ظاهرة عامة واسعة الانتشار، وهو فعلاً من الظواهر الكبرى التي يعاني منها أعداد كبيرة من الناس، وثمَّة مساعٍ عالمية كبيرة جداً من أجل الحدِّ من انتشاره. وأعتقد أن المدخل للعلاج على المستوى العام وعلى المستوى الشخصي يكون بتكوين رؤية مركّبة للأسباب التي تجعل الناس عاجزين عن الوصول إلى إشباع حاجاتهم الأساسية، ولعلَّ من هذه الأسباب الآتي:

- العيش في بلد شحيح الموارد، حيث لا تكون هناك معادن يمكن تسويقها، ولا أراضٍ خصبة أو مياه كافية لزراعة المحاصيل بكميات كبيرة..
- وجود نظام سياسي وإداري فاسد وغير كفء، ينشر التحايل بين الناس على كسب الرزق، ولا يهيِّئ الحد الأدنى من تكافؤ الفرص.
- عدم توفر الحد الأدنى من البنية التحتية المطلوبة لإنعاش الاقتصاد، مثل: الطرق والمطارات والموانئ والسوق المالية المنظمة والمدارس الجيدة والجامعات المتميزة...

- وجود عقيدة جبرية مستبطَنة، تدفع الناس نحو القعود عن طلب الرزق وبذل الجهد، وذلك كالاعتقاد أن الرزق مقسوم مع التقاعس عن الأخذ بالأسباب وبذل المساعي في تحقيق الغايات.
- النشوء في أسرة محطمة تربِّي على اليأس والاحتجاج عوضاً عن التفاؤل والإيجابية.
- السكنى في موقع جغرافي هامشي أو معزول عن التواصل مع العالم الخارجي.
- وجود عادات وتقاليد تدفع إلى الإسراف وسوء التدبير.
- مؤسسات تعليمية مهترئة لا تخرِّج الكفاءات المطلوبة لسوق العمل.
- الجهل بالأصول والآليات التي تساعد على إدارة الموارد الشحيحة والإمكانات المحدودة.
- وجود حروب أهلية أو نزاعات قبلية أو طائفية، مما يؤدي إلى إنفاق المتوفر من المال على التسليح ومتطلبات الفوز في الصراع.

هذه العوامل العشرة هي العوامل الأساسية في انتشار الفقر، وإن كان لا بد من ملاحظة أنه لا يكاد يخلو بلد مسلم من العديد منها، كما لا بد من ملاحظة أنها موجودة بنسب متفاوتة بين بلد وآخر، كما أنها تتفاوت أيضاً على مستوى الأشخاص. إن التحدي الذي يواجه كل من يريد معالجة ظاهرة الفقر هو الاقتراب من معرفة الوزن النسبي لكل سبب من الأسباب السابقة؛ لأن هذه المعرفة ضرورية جداً لمعرفة المجالات التي ينبغي تركيز الجهد فيها؛ بسبب

حيوية تأثيرها في إصابة الناس بالفقر والعَوَز. وقد تكون الدراسات الإحصائية والمسحية هي السبيل الأمثل لتحصيل تلك المعرفة.

إن من الطبيعي أن يؤدي التركيب في رؤية الأسباب إلى توليد رؤية مركّبة على مستوى الحلول والمعالجات، وفي هذا الإطار فإننا لم نتمكن إلى اليوم من بلورة خطة شاملة لمعالجة الفقر في أي بلد إسلامي ـ فيما نعلم ـ يأخذ القائمون عليها بعين الاعتبار كل العوامل التي أشرنا إليها، وهذا بسبب عدم الاهتمام وبسبب ما ألفناه من تبسيط الأمور.

ملامح الرؤية المركَّبة لعلاج الفقر:

أ ـ القيام بتعريف الفقر ودراسة توصيف أوضاع من هم تحت خط الفقر.

ب- تحسين وعي الناس بالعلل والأدواء المترتبة على انتشار الفقر.

ج- القيام بحملة واسعة لمكافحة الفساد الإداري بوصفه أداة لنشر الظلم والفقر.

د- في حالة شحِّ الموارد الطبيعية يتم التركيز في خطط التنمية على الاستثمار في المعلوماتية والتقنية والصناعات الإلكترونية الدقيقة والمتطورة بسبب قلّة ما تحتاجه من المواد الخام.

هـ- التركيز في التربية الأسرية على أخلاق العمل، مثل: الجِدّية والأمانة والدقّة والإنجاز والتعاون.. كما يتم الاهتمام ببثِّ روح التفاؤل والاستبشار والثقة بسعة فضل الله عزوجل وكرمه.

و- إيجاد بيئة قانونية ونُظُمية تحفز على تدفق الاستثمارات الأجنبية بوصفها

أدوات جيدة لتوفير فرص العمل للمواطنين.

ز- إصلاح التعليم، ومساعدة التعليم الأهلي بسخاء، وممارسة رقابة صارمة عليه.

ح- مساعدة الشباب على إقامة مشروعات صغيرة ذات تكلفة منخفضة.

ط- نشر حب الخير، وتشجيع العمل الإغاثي والتطوعي، وتشجيع كل المؤسسات التي لا تهدف إلى الربح.

ي- توفير أكبر عدد ممكن من مراكز التدريب التي تمكِّن الفقراء من اكتساب المهارات المطلوبة للانخراط في سوق العمل.

ك- إثراء الجانب الروحي في حياة المسلمين بوصفه مطلباً شرعياً، وبوصفه مصدراً للمسرَّات المجانية، وبوصفه باعثاً على التقليل من الاستهلاك. وهناك لا شك العديد من التدابير الأخرى.





الرؤية المركَّبة (٢)

تحدثتُ في المقال السابق عن (الفقر) بوصفه نموذجاً، نرى من خلاله أسباب هذه الظاهرة، وما يمكن أن يُطرح من حلول لمعالجتها، ووعدتُ بتقديم نموذج آخر لما نريد تقريره في شأن التفكير المعقَّد، وقد رأيت أن أتحدث هنا عن (التعليم) عبر المفردات الآتية:

١- تتخذ أمم كثيرة من التعليم اليوم مدخلاً رئيساً للتقدم والازدهار، والتخلص من الكثير من مظاهر التخلف، وهناك اعتقاد عالمي قوي بضرورة تطوير التعليم، كما أن هناك شكوى عالمية عامة من قصور المؤسسات التعليمية.

٢- لدينا ميل شديد إلى التفسير الأحادي والرؤية البسيطة لما نراه من ضعف مؤسساتنا التعليمية على اختلاف مراحلها، والحقيقة أن معظم الناس يتحدثون عمَّا أدركوه إدراكاً فطرياً، أو ما انطبع في أذهانهم عن التعليم بسبب تجربتهم

الفردية المحدودة. وقد أشرتُ غير مرة إلى أنه لا يصح تفسير الظواهر الكبرى بعامل واحد، وأنه لا بد من البحث عن العديد من العوامل التي تؤدي إلى ولادة الظاهرة الواحدة.

٣ـ في تاريخنا الإسلامي تركيز شديد على نوعية الشيوخ والمعلمين الذين يمكن للمرء أن يأخذ عنهم، فإذا كان الشيخ عَلَماً في علم من العلوم، فإن الأخذ عنه يشكل فوزاً عظيماً لمن يتمكن من ذلك؛ وتزداد قيمة القراءة على الأعلام حين يقتضي ذلك السفر والرحلة من بلد إلى بلد.

٤ـ لم يكن الارتباط بين المقدار الذي يحصِّله الطالب من المعرفة وبين الحصول على عمل أو على المال أو الرزق؛ واضحاً كالذي نراه اليوم، وهذا يؤثر في نظرة الناس إلى أهمية (العلم) في حياتهم.

٥ ـ لو تساءلنا عن أوضاع المؤسسات التعليمية لدينا مقارنةً بالمؤسسات التعليمية في البلدان الصناعية؛ فإننا سنجد عدداً من الفوارق التي يمكن أن نتحدث عنها على نحو من الظن والتخمين وعلى مقدار خبرتنا المحدودة، مع التنويه بأن ما سنذكره قد لا يكون موجوداً في كل مدارسهم وكل مدارسنا، فنحن هنا نتحدث عن عموميات، وليس عن مؤسسات بعينها، ومن تلك الفوارق الآتي:

- لدينا في قاعات الدراسة عدد أكبر من الطلاب، مما يجعل قدرة المدرِّس على التواصل مع جميع الطلاب دون المستوى المثمر

- مدارسهم أغنى من مدارسنا بوسائل الإيضاح وبالمعامل والمختبرات وبالورش

والمعدات... كما أن نسبة المدارس المستأجرة لديهم إلى المدارس المملوكة للحكومة أقل.

- بداعٍ من قلة التجهيزات والإمكانات المادية يميل التدريس لدينا إلى الشرح النظري، على حين يميل التعليم لديهم إلى الاعتماد على التجربة والتطبيق، مما يجعل دور الطالب في العملية التعليمية أكبر، ويجعل من ثم استفادته من الدروس أعظم.

- يلاحظ في السنوات الأخيرة تراجع سوية الحماسة للتعليم لدى كثير من المعلمين لدينا، وتراجع سوية الحماسة للتعلُّم لدى كثير من أبنائنا، ولا أعرف أسباب ذلك على وجه التحديد، كما أنني لا أعرف الوضع الآن في الدول الصناعية بالنسبة إلى هذه المسألة.

- كثير من المعلمين العرب والمسلمين لايحصلون على مرتبات كافية، مما يجعلهم مضطرين إلى القيام بعمل إضافي في المساء؛ كإعطاء الدروس الخاصة وغير ذلك.

- لم تعد مهنة التعليم لدينا جذّابة كما كان الوضع في السابق؛ بسبب ضعف عوائدها المادية، وبسبب تدنِّي المكانة الاجتماعية للمعلِّم في العقود الثلاثة الأخيرة، وهذا يعني أن أصحاب أفضل العقول وأفضل المواهب لا يجدون في مهنة التعليم خيارهم الأول!

- لدينا أعراف وتقاليد ثقافية موروثة لا تحبِّذ منح الطالب حقَّ تقويم أساتذته والحكم على أدائهم، ولا تحبِّذ فصل بعض المعلمين من الخدمة بسبب آراء

طلابهم فيهم، وهذا جعل بعض المعلمين يتمتع بحماية، لا يحظى بها نظراؤه في بعض الدول المتقدمة.

- يأتي الطلاب في الدول المتقدمة من أُسر أفضل تعليماً من كثير من الأُسر لدينا، وهذا يجعل الدعم الذي يتلقاه الطالب لديهم للتفوق والاستمرار في التعليم أكبر من الدعم الذي يتلقاه الطالب لدينا.

- التعليم الحكومي ـ في معظم الأحيان ـ مرتبك في تطوير نفسه، أما التعليم الخاص، فلدينا عدد قليل نسبياً من المدارس الجيدة، وعدد كبير من المدارس التي لا نستطيع عدَّها بين المدارس الجيدة أو المقبولة، والمشكل هو الطالب الفقير الذي يملك الموهبة ويملك الطموح، لكن لا يجد المدرسة الحكومية أو الأهلية التي تنمِّي مواهبه، وتحقق طموحاته. إن التعليم في كل دول العالم يمتلك بعض المؤسسات الرديئة وبعض المؤسسات الجيدة، وإن كانت النسبة تختلف من دولة إلى أخرى، لكن الذي يميِّز الدول المتقدمة في هذا الإطار شيئان:

الأول: وجود تنوُّع هائل في التخصصات؛ بدءاً من المرحلة المتوسطة، حيث يجد الطالب بيُسْر التخصّصَ الذي يرغب إكمال دراسته فيه، على حين أن هذا قليل جداً في الدول النامية والتي تكافح لتوفير الحد الأدنى من المؤسسات والتخصصات في مجال التعليم.

الثاني: وجود مدارس وجامعات ومعاهد على مستوى عالٍ جداً من الجودة، وفي تلك المدارس والجامعات تتخرج الكفاءات التي تقود الشعوب، وتقدم نماذج عالية للأجيال الجديدة.

- لدى الدول المتقدمة جمعيات ومؤسسات وهيئات ومجالس خيرية تقدم الدعم للتعليم، وتقدم القروض والمنح للطلاب مما يسهم في حل المشكلات المالية لكثير من المؤسسات التعليمية؛ وهذا لدينا ضعيف للغاية.

خلاصة هذه المقارنة هي: أن لدينا تعليماً ضعيفاً بل رديئاً أحياناً، وبعض مشكلاته لا يُحل إلا عن طريق المال، وبعضها لا يحتاج إلى أيِّ مال، وهذا الكلام الذي ذكرناه لا يصح أخذه على عمومه، فقد يكون لدينا مدارس نموذجية راقية جداً، وقد يكون في الدول المتقدمة بعض المؤسسات التعليمية القائمة على الغش والتزوير والرّشوة، إذاً نحن نتحدث عن الطابع العام، وليس عن حالات بعينها، ومن وجه آخر فإنني لم أتحدث عن بعض ما يميز التعليم لدينا، ولا عن بعض المشكلات التي يواجهها التعليم في الغرب؛ لأن الهدف هو تكوين رؤية مركبة لحال التعليم لدينا قبل أي شيء آخر.





الانكسار من الداخل

خلق الله عَزَّوَجَلَّ الدنيا، وجعلها ميدان اختبار وابتلاء، فوفر فيها كل شروط الابتلاء، ولهذا فنحن نتقلب في أنواع من المشاق والصعوبات، ويمكن لنا أن نقول ابتداء: إن كثيرين منا يواجهون نوعين من المشكلات والتحديات:

تحديات خارجية، وهذه تتمثل في الآتي:

- بيئة متخلفة متحجرة بعيدة عن هدي الإسلام وعن مواكبة العصر، وهذه ذات تأثير سلبي جداً لأنها تغذّي وعي من يعيش فيها بالصور السوداء وذكريات المحاولات الفاشلة.

- عدم وجود فرص كافية للعمل مما يجعل الإنسان يشعر بأن كل ما لديه من معرفة وخبرة ومهارة بات أشبه بعملة غير قابلة للتداول.



- مشكلات داخل الأسرة، وهذه تتمثل في تسلط الآباء و في النزاعات والمشاكسات التي تقع بين الزوجين.....

- فساد مالي وإداري عام يجعل استقامة المستقيم عقوبة له، ويسهِّل الحركة أمام الفاسدين والمفسدين.

- وجود الكثير من المحترفين للتخذيل والتوبيخ عند أي انتكاسة يتعرض لها الإنسان.

- مرض يُقعد الإنسان عن ممارسة أنشطته وعن العيش على نحو طبيعي وهذه التحديات موجودة بنسب مختلفة في كل زمان ومكان، وهي أدوات ابتلاء لبني الإنسان، لكن الذي ثبت أن كل ما هو خارجي -أي غير نابع من الذات- يظل هامشياً وقد يكون له دور إيجابي إذ يستنفر فينا القوى الكامنة، ويحرّض لدينا روح المقاومة والممانعة، وإن المتتبع لآيات الذكر الحكيم يجد أن هلاك الأمم السابقة لم يكن بسبب القصور في التعامل مع المعطيات البيئية أو بسبب مكائد الأعداء وسطوة المنافسين، وإنما كان بسبب زيغهم عن الحق وهزائمهم الداخلية أمام رغباتهم وشهواتهم....

تحديات فكرية ونفسية تتمثل في الآتي :

- احتقار الذات والنظر إلى الإمكانات الذاتية على أنها أقل من أن تمكّن صاحبها من الحصول على أي شيء ذي قيمة، وهذا كثيراً ما يعود إلى سوء التربية في البيوت وقصور التعليم في المدارس.

- اليأس والإحباط بسبب الدخول في عدد من المحاولات الفاشلة، كمن يقدم امتحان الثانوية العامة مرات عديدة، دون التمكن من اجتيازه.

- الخوف من المبادرة والانخراط في مشروعات كبيرة، والميل إلى البقاء في الساقة أو المؤخرة، وهذا يجعل الإنسان يعيش على هامش الحياة، ويتقوت من فتات الموائد.

- الخوف من التخطيط للحياة الشخصية، وهذا شأن أكثر من (٩٥٪) من الناس وذلك بسبب الخشية من الالتزام ببذل جهود إضافية جديدة، وبسبب الخشية من الحرمان من بعض اللذات والمشتهيات وتغيير بعض العادات.

- جلد الذات وتوبيخها على نحو مبالغ فيه على كل خطأ أو تقصير.

ما العمل؟

إن الناظر في تاريخ الأمم والمجموعات والأفراد يجد شيئاً مهماً، هو أن المشكلة التي ظلت تواجه البشرية لا تكمن في قلة الموارد وشح الطاقات والقدرات، وإنما تكمن في شيئين أساسيين، هما: ضعف الإرادة وسوء إدارة المعطيات الناجزة، وإن الإرادات يمكن تصليبها بشيء من المجاهدة في ذات الله عَزَّوَجَلَّ ونحن نعرف أشخاصاً كثيرين تخلصوا من كثير من عاداتهم السيئة، ووضعوا برامج جيدة للتحكم في أوقاتهم، فتحولوا من أشخاص أقل من عاديين إلى أشخاص ممتازين، كذلك نعرف مؤسسات كثيرة كانت على شفا الانهيار، وحين حظيت بإدارة جيدة انقلب وضعها رأساً على عقب، وصارت من المؤسسات الرابحة والناجحة، ولهذا فإن الطريق إلى التحسن دائماً مفتوح، لكن ليس هناك شيء مجاني.

حين نجد أنفسنا يائسين ومحبطين ومرتبكين، فلنراجع علاقتنا بالله

-عز وجل- ولنحاول إحياء تلك العلاقة من خلال الإكثار من القربات والطاعات ولنحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ ونفوض أمورنا إليه، حيث ثبت أن الإفلاس الروحي كثيراً ما يُوقع المسلم في الحيرة، ويجعله يشعر بالعجز.

٣ـ من المهم أن نوقن أن لدى كل واحد منا فرصة للارتقاء ولتجويد العمل حتى في أكثر الظروف صعوبة وحرجاً. هناك إمكانية للتحسن بشرط أن نعتمد مبدأ يقول : شيء خير من لا شيء، ومبدأ يقول : ما يُغلق باب حتى يُفتَح باب آخر لكن قصورنا التربوي والثقافي يجعلنا ننشغل بالباب الذي أُغلق عن الباب الذي فُتح.

٤-ليس هناك شخص ضعيف، لكن هناك شخص لا يعرف نقاط قوته، وهذه حقيقة متألقة، وعلى كل واحد منا أن يبحث عن نقطة القوة التي لديه، ويحاول تنميتها، والتركيز عليها والعمل على استثمارها، وسيجد تقدماً مذهلاً في وضعيته العامة.

٥- الإنسان تابع لأفكاره ورؤاه، وكلما كانت رؤاه أرحب، وكانت أفكاره أكثر نضجاً ودقة، وجد سبيله إلى التحسن لاحبة وفسيحة، وكلما ظن أنه عاجز وضعيف وأن المجالات أمامه ضيقة ومزدحمة ووعرة، فإنه سيقعد عن طلب المكرمات ويشعر بانسداد الآفاق وقلة الحيلة ...

على المرء أن يحذر من عدوى الأرواح، ولهذا فإن على كل واحد منا الابتعاد عن مصاحبة اليائسين والمأزومين وأصحاب الرؤى السوداوية، وأن يدخل إلى عالم الناجحين ليقبس من أرواحهم، ويتعرف على أسرار نجاحاتهم..

خطوات لعيش هنيء

١- إن في إمكان (العقيدة) أن تشكل المصدر الأساس للإثراء الروحي والسرور القلبي؛ وذلك من خلال ما توفره من أسس للاستعلاء على حاجات الجسد، وما توفره من طاقة لمقاومة صعوبات الحياة، والعقيدة في الوقت نفسه ترسم الفضاء النظري لعلاقة العبد بربه عَزَّوَجَلَّ إن العقيدة تشرح للإنسان المسلم عظمة الخالق -جل وعلا- وبره ولطفه، ورحمته بعباده، واطلاعه على أحوالهم، كما تشرح له ذلك السيل المتدفق من الإمداد المستمر بالعطايا والهدايا، والحفظ والرعاية بعد أن كانت قد شرحت له مِنَّة الخلق والإيجاد، وحقوق الخالق الجليل المفضال. من هذا وذاك تتكون مشاعر العبودية والامتنان، ومشاعر الحاجة والافتقار، وتضحى مناجاة الله عَزَّوَجَلَّ وذكره والثناء عليه والتذلل بين يديه، وبسط الحاجات على أعتاب فضله وكرمه ـ أعظم مورد لمسرات الروح

وطمأنينة النفس وحين يقع المسلم في شدة أو أزمة يشعر أن في إمكانه في أي لحظة أن يلجأ إلى ركن شديد.إن جلسة تستمر ساعة من زمان في الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وتملُّقِه والتودد إليه... كافية لإضاءة كل الحجرات المظلمة في أرواحنا، وكافية لجعلنا نتربع على قمة من الانشراح والسكينة والارتياح. هذه الوضعية الروحية المتألقة هي ما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حين قال: جنتي في صدري. وحين قال: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.وقد سلك الرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مسلك المناجاة في أبهى تجلياتها؛ ليعلِّموا أممهم كيف ترِد هذا المورد العذب الجميل، وكيف يكون الاغتناء الداخلي مع قلة ما في اليد؛ ويكفيك أن تستعرض دعاء النبي ومناجاته حين صدّه أهل الطائف، ورموه بالحجارة.

٢- الأنشطة الدعوية والأدبية والاجتماعية والخيرية مصدر كبير لتنشيط الروح وإثراء الداخل. إن قانون المال هو الجمع والاستحواذ، وفيه دائماً ما يشير إلى الاهتمام بالذات والمصلحة الخاصة. أما قانون العمل فهو العطاء والإيثار، وفيه دائماً ما يشير إلى النمو، وما يعزز عالم المعنى. إن مجتمعاتنا فقيرة بهذه الألوان من العمل؛ بسبب التخلف والتفكك والخوف المسيطر من التقاء الإنسان بالإنسان، وهذا جعل موارد تحقيق الذات وتعميق المعاني الإنسانية شحيحة مما يدفع الناس نحو التنافس على المال بوصفه المورد الوحيد للتميز على الأقران، والمورد الوحيد للشعور بالفوز والنجاح. إن الأعمال التطوعية تجعلنا نشعر بالتأنق الداخلي والرفاهية الروحية؛ وهذا ما نحن في أمسّ الحاجة إليه اليوم.

الأخوة والصداقة وما تشتملان عليه من معاني الأنس والوفاء والتضحية والتباذل والاهتمام المتبادل والتعاون والتكاتف... من أعظم ما يغني مشاعرنا، ويضفي على نفوسنا الابتهاج. إن ثقافة الغني ظلت على مدار التاريخ ثقافة صفوة ونخبة، أما ثقافة الفقر فهي ثقافة عموم الناس الذين يتواصلون بشكل أسهل، وتكون الحواجز بينهم أقل، كما أن علاقاتهم الاجتماعية لا تكون في العادة مكلفة، ونحن في حاجة اليوم إلى أن نبدع في الأطر والوسائل التي لا تجعل منازلنا الفخمة عبارة عن سجون مرفهة تعزلنا عن بعضنا، فنحرم أنفسنا من نعمة التناغم الروحي الذي نجده حين نلتقي ونتبادل عواطف.

٣- الأخوة والصداقة.

٤- لنجعل من الخيال أداة للتمتع بما ننتظره من النعيم الذي أعده الله لعباده الصالحين، ولنجعل من الذاكرة أداة لاسترجاع الذكريات الجميلة التي نحتفظ بها صوراً نقية عن أجمل الأحداث التي مرت بنا، ولنجعل من إدارة الإدراك وتوجيه الوعي أداة لرؤية العالم بطريقة جديدة؛ وبذلك نكسر جمود الرتابة، ونذيب صقيع القلوب الذي بدد حرارتها، وزادها قسوة. إن شيئاً من كل هذا سوف يـحدث إذا اعتقدنا أن كثيراً من شقاء الإنسان هو دائماً مما صنعت يداه.





هموم الكبار

كانت العرب تقول: تكلموا تُعرفوا؛ إذ إن كلام الإنسان يعبر عن عقله وقيمه ونظرته للأمور، والحقيقة أن الناس على مدار التاريخ كانوا يتشوقون إلى معرفة ما هو جوهري في حياة الإنسان، ومعرفة ما يمكّنهم من الوقوف على ذلك الجوهري، وكان من أهم ما يسيطر عليهم في هذا الشأن معرفة (العظمة)، وكل ما يجعل من الإنسان شيئاً عظيماً، وإذا استعرضنا مكنونات الوعي الشعبي في هذا، فإننا سنجد أن العظيم أو الكبير هو من يجمع بين الثروة الظاهرة والنفوذ الاستثنائي، ولم يقع الاختيار على ذلك اعتباطاً أو مصادفة؛ حيث إن بين الثروة والنفوذ تغذية متبادلة، فالمزيد من النفوذ يأتي بالمزيد من الثروة، والمزيد من الثروة يُولد المزيد من النفوذ، ومنهما معاً تتشكل صورة الرجل الكبير، وهذا في الحقيقة هو كبير الدنيا وعظيم المؤقت.

أما الكبير في نظر المنهج الرباني الأقوم، وفي نظر خاصة الخاصة، فإنه ذلك الشخص الذي استطاع الإفلات من الدوران في فلك ذاته والاستغراق في رعاية مصالحه الخاصة؛ كي يدور في فلك أمته، ويحمل همومها، ويستغرق في خدمة أهدافها... وعلى هذا فإن المرء يكون كبيراً على مقدار اتساع دائرة همومه واهتماماته، ويكون صغيراً على مقدار ضيق تلك الدائرة، ولا أرى في هذا أي شيء من التعسف في الحكم أو التحامل على أحد؛ وذلك لأن كون كل مكاسب الدنيا صغيرة ومؤقتة يجعل المحظوظين فيها صغاراً، مهما ملكوا من الثروة والنفوذ، ولا يكون العظيم عظيماً إلا إذا كانت هناك إمكانية لأن يكون عظيماً في الآخرة، إلى جانب العظمة في الدنيا، كما في قوله سبحانه :﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥)

هذه قمة العظمة، لكن مجرد خروج المرء من دائرة همومه الصغيرة لا يعد كافيًا لأن يقترب من منظومة العظماء، إذ كانت نوعية الهموم التي تسيطر على الواحد منا هي الفيصل في تصنيفه.

فما هموم الكبار؟ وما الذي يقلقهم؟ وكيف ينظرون إلى الأمور؟

الحقيقة أن هذا سؤال كبير، والجواب عليه مستعرض ومستطيل، لكن يمكن أن نتناوله بطريقة خاطفة على النحو التالي:

- يحاول الكبار أن يعيشوا روح الحياة لا شكلها؛ ولهذا فإن الهاجس الذي يهجس به الواحد منهم هو نوعية الإنجازات التي يمكن أن ينجزها على هذه

الأرض، ومن ثم فإن حياة الكبار لاتقاس بالسنين والأنفاس، وإنما بالعطاءات والإنجازات، أما الصغار فإن الهمّ الذي يسيطر عليهم هو: كيف يمكن لهم أن يعيشوا في هذه الحياة بالطول والعرض، أي كيف يمكن لهم أن يعيشوا أطول مدة ممكنة مع العبِّ من ملاذاتها وشهواتها إلى الحد الأقصى.الكبار إذن يسيطر عليهم همٌّ نوعية العطاء الذي يقدمونه للحياة، والصغار يسيطر عليهم همّ كمية ما يستولون عليه من الحياة والأحياء!

- يسيطر على الكبار همّ رعاية التوازن في حياة أمتهم، إنهم يريدون لها أن تعيش في رفاهية ورغد من العيش، لكن دون أن تنسى أن هناك آخرة تحتاج إلى عمل ومجاهدة، و يريدون لها أن تمتلك كل الوسائل الحديثة دون أن تنسى أهدافها الكبرى، يريدون لها أن تختلف حتى لا تقع في قبضة الجمود، ويريدون لها أن تعرف كيف توقف خلافها عند حدود معينة حتى لا تصير إلى التشتت وذهاب الريح، يريدون لها أن تحافظ على كيانها وترعى مصالحها، دون أن تنسى واجبها تجاه العالم الذي هي جزء منه.

- على مدار التاريخ كان الكشف عن العوامل التي تؤدي إلى انهيار الأمم وتخلفها هو الشغل الشاغل للمصلحين والمفكرين الكبار، ومن هنا فإن عظماء الأمة هم الذين يساعدونها على فهم طبيعة الأسباب التي تجعلها تتراجع أو تتجمد في مكانها، وهم من أجل ذلك يبحثون ويدرسون ويتأملون ويقارنون، ويحاولون بعد كل هذا أن ينقلوا ما تحصَّل لديهم من ذلك إلى عقول أمتهم وأعصابها, ويمارسون من أجل ذلك النقد مع أنهم يعرفون أن الحس الشعبي



يرتاح للمديح، وينفرممن يشيرون إلى الجراح, لكن الشعور بالمسؤولية الأخلاقية تجاه أهليهم وجماعتهم يجعلهم يتحملون تكاليف ذلك عن طيب خاطر.

- الكبار يحاولون عزل أنفسهم عن السياق العام لمجتمعهم حتى يروه على نحو جيد، كما يقف قائد جيش على مكان مرتفع كي يرى كل أرض المعركة, وهذه العزلة تسبب لهم الكثير من الإشكالات وتعرّضهم لسوء الفهم من لدن الكثرة الكاثرة, وهم راضون بذلك؛ لأنه جزء من تبعات الريادة الفكرية والاجتماعية التي يحظون بها.

- الاهتمام بالعدل وحماية العناصر الضعيفة من بطش الجبارين واستغلال الماكرين... من أهم ما يميز كبار القوم عن صغارهم , الصغار يبحثون عن الظروف الأكثر ملاءمة لبسط نفوذهم وتكثير أموالهم, ويجدون في التفاوت الطبقي الواسع ضالتهم المنشودة، أما الكبار فيعلمون أن حماية الضعيف مجلبة لرحمة الرحمن، ومظلة أمان من التحلل الذاتي والانهيار الداخلي, ويعلمون كذلك أن العدل المتوخي هو عدل بين الناس والأمكنة والأجيال, فلا يصح لجيل أن يستنفد ثروات البلد ويلوث بيئته من غير اعتبار لمن سيأتي بعده من الأسباط والأحفاد.

هذه بعض معالم طريق الكبار، ويمكن للمرء أن يسير على طريقهم وفي ركابهم إذا تحلى بصفة واحدة من صفاتهم، وإن الأمة الكبيرة هي التي حظيت بأكبر عدد من الكبار، والأمة الصغيرة هي التي يتلفت أطفالها يمنة ويسرة فلا يرون إلا مشغولاً بنفسه ومهموماً بدنياه؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد.

مهماز التطوير

يميل معظم الناس إلى التشبث بعاداتهم ومعاييرهم ورؤيتهم للحياة, وينظرون إلى كل ذلك وكأنه جزء عزيز من شخصياتهم, مع أنهم يعرفون أن كثيراً منها تم تبنيه واكتسابه بفعل الضغط الاجتماعي أو بفعل المعلومات والأفكار والمعطيات المتوفرة.نحن في حاجة اليوم إلى كسر كثير من تقاليدنا الشخصية القديمة، لأنها باتت تشكل سداً منيعاً في وجه التقدم والتلاؤم مع ظروف العصر, ولدّي ملاحظتان سريعتان في هذا الشأن:

لعل من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الواحد منا على صعيده الشخصي نظره إلى نفسه وكأنه جزيرة معزولة عن كل محيطها, فهو لا يأبه بكل الأشياء الجديدة، ولا يعبأ بأي تغيير يحدث مهما كان عظيماً, مع أن المتأمل يجد أن الكون كلّه مكوَّن من مجموعة من المنظومات, ولا يشكّل الإنسان استثناء من القاعدة,

فكل مفردة مما في حوزتنا هي عبارة عن جزء من منظومة معينة: الذكاء والمال والجمال والكياسة والمهارة والاستقامة والفكر والفهم...إن هذه الأشياء تتمتع بوجودين: وجود ذاتي, يمكن قياسه ولمسه وتحديده, ووجود يمكن أن نقول: إنه (اجتماعي) ولتوضيح الفكرة يمكن أن نشبه ما لدينا من مهارات وإمكانات... بالورقة النقدية، فهي ذات قيمة نقدية محددة, فـ (الدولار) مثلاً هو الدولار, لكن قوته الشرائية تختلف من بلد إلى بلد, فإذا ذهبت إلى بلد شديد الغلاء مثل(اليابان)وجدت أن الدولار لا يكاد يشتري أي شيء, وإذا ذهبت إلى بلد مثل (أفغانستان) وجدت أن الدولار يشتري العديد من الأشياء.

إذن لسنا نحن الذين نحدد قيمة ما لدينا, وإنما يحدده (السوق) بأوسع ما تعنيه هذه الكلمة من معنى, وكما قال أحدهم: ما قيمة الشهادات التي حصلت عليها, وما قيمة الدورات التي حضرتها, وما قيمة نظرة الانبهار التي يمنحك إياها أبواك وإخوتك... ما قيمة كل هذا إذا وجدنا أنك منذ ثلاث سنوات لم تستطع الحصول على وظيفة جيدة مع كثرة بحثك وشدة حاجتك؟! هذا يتطلب من كل واحد منّا أن يقوّم كل ما لديه من أفق محيطه ومن خلال القيمة العملية له، قد رأيت كثيراً من الأشخاص الذين يعجبك كلامهم عن التحديث والتطوير والإبداع والإنتاجية المرتفعة، لكنهم يعملون في مؤسسات متهالكة، ومن ثم فإنهم غير قادرين على فعل شيء مما يقولون وغير قادرين على إصلاحهالأن النظم التي قامت عليها تلك المؤسسات والشركات.. غير قابلة للإصلاح والمراجعة!

على مدار التاريخ كانت التقنية هي التي تطور حياة الناس على المستوى العملي: السكين والدولاب والآلة البخارية والكهربائية والإلكترونية.. كل ذلك نقل الناس من مرحلة إلى مرحلة أرقى, أما اليوم فإن التقنية تغير في عقول الناس وطموحاتهم وفي نظرتهم لأنفسهم, وقد فازت وسائل الاتصال الحديثة والمتنامية بهذا النوع من التأثير, وصار على كل من يريد أن يكون في المقدمة في أي تخصص من التخصصات أو مجال من المجالات أن يبحث عن موقعه ليس على خريطة بلده, وإنما على خريطة العالم, حيث تقوم العولمة بتهميش كل الاعتبارات المحلية لصالح ما هو عالمي, وإن الذين يصرون على غض الطرف عن هذا المعطى سيتكبدون أفدح الخسائر, وسيدفعون أغلى الأثمان.

الرسالة المركَّزة التي أريد أود إيصالها إلى القارئ الكريم، هي: عليك أن تفكر في الانتقال من الوضعية التي أنت فيها وأنت في قمة نجاحك, فالأرض تموج من تحت أقدامنا جميعاً والوقوف الطويل عليها لن يكون ممكناً, إلا إذا كنا مستعدين لأن نفقد كل شيء.





الكفاح المستمر

نحن على هذه الأرض في امتحان طويل، مدته الحياة كلها: الأغنياء والفقراء، والأذكياء والبلهاء، والشرفاء والوضعاء، والأقوياء والضعفاء.. كل واحد من هؤلاء مقيم في وضعيّة اختبار بما آتاه الله من مكنة وبما سلبه من نعمة.

إن على كل واحد منا أن يعمل أفضل ما يمكن عمله في إطار وضعيّته العامة والإمكانات والأدوات التي بين يديه، كما أن عليه أن يتمتع بروح الممانعة والتأبّي على كل ما يصرفه عن وجهته وهدفه. ليس في هذه الدنيا منطقة آمنة نلقي فيها مراسينا، ونركن إلى ما بلغناه من تقوى وورع وتماسك خلقيّ ونفسيّ، إننا جميعاً واقفون على أرض متأرجحة وفي منطقة تجاذب بين الصحيح والخاطئ والخيِّر والشرير. وإن أيّ تراخٍ أو ترهل في الحاسة الأخلاقيّة يمكن أن يقذف بأحدنا في محيط الضياع أو الانحراف. إن كل ساعة تمرّ علينا تشكل



تحدّياً جديداً علينا أن نواجهه، ومن أجل مواجهته، فإننا نحتاج من الله -جل وعلا- أمرين: الهداية والمعونة، وإن سورة الفاتحة التي يُطلب من المسلم أن يقرأها في كل ركعة تشتمل على المعنيين:(إياك نعبد وإياك نستعين)، (اهدنا الصراط المستقيم)، ولم يلمح هذا المعنى المفسرون الذين قالوا المعنى: ثبّتنا على الصراط المستقيم. إن الاستقامة على أمر الله تحتاج إلى نوع من الكفاح المستمر والمجاهدة الدائمة، ولا سيما أننا نعيش في ظروف صعبة وحرجة؛ حيث المغريات الكثيرة بالميل ذات اليمين وذات الشمال. إن المجتمعات الإسلامية باتت متخمة بأولئك الذين يقدمون نماذج سيئة للأجيال الجديدة، والأكثر إثارة للأسى أن ما يمكن فعله اليوم من أمور منكرة وشرّيرة دون التعرّض للعقوبة آخذ في التنوّع والاتّساع، وقد كثرت المعاذير المختلفة: كل الناس يفعلون هذا.. نحن مضطرون لأن نعطي ضمائرنا إجازة بسبب الضغوط.. لو كان هذا العمل سيئاً ما فعله فلان، أو لما سكت عليه فلان، أو ما سمحت به الحكومة...!

هناك إلى جانب هذا فيض من الرسائل التي تتدفق من كل اتجاه، ومضمون تلك الرسائل واحد، وهو أننا نستحق أكثر مما نلنا، وأن هناك وسائل سريعة للحصول على ما نريد، وليس من حقك أن تبحث عن مشروعيّة تلك الوسائل، فالبحث فيها صار قيداً على الانطلاقة الكبرى التي على كل واحد منا أن ينهض لها!

واضح جداً أن ضمائرنا تتعرض لترويض عنيف كي تخفّف من حساسيتها تجاه الطرق غير المشروعة للنجاح والثراء.

إن الله عَزَّوَجَلَّ أمر نبيه ﷺ بلزوم الاستقامة حين قال جل وعلا :﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(هود: ١١٨). قال ابن عباس - رضي الله عنهما-:»ما نزل على رسول الله آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية»، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب:»شيّبتني هود وأخواتها»وهذا منه ﷺ شعور وإعلام بجوهريّة الاستقامة في حياة المسلم، وكونها أساس الأصالة في الشخصيّة الإسلاميّة؛وقد أثبتت الخبرات العالمية المتراكمة أن الاستقامة هي الشيء الأفضل في العمل، وفي العلاقات الاجتماعيّة، وفي العلاقات الدوليّة، والشيء الأفضل في ضبط المجتمع والسيطرة على الجريمة... ولِمَ لا تكون كذلك وهي في معناها العميق تعني ملازمة الحق والاعتراف به والبناء عليه. هناك أشخاص لا يُحصَوْن عدداً يملكون الكثير من مقوّمات التقدم والنجاح والتفوق، لكن منعهم الانحراف والالتواء من التواصل مع أعماقهم، حيث إن في عمق الإنسان المسلم طيبة وسكينة وتحفّزاً نحو الخير، لكن عدم الاستقامة لدى كثيرين منا يحول دون الاستفادة من ذلك وتوظيفه في الحصول على تقدم شخصي واجتماعي واضح، إن المعاصي حين تصبح جزءاً من السلوك اليومي للمرء تشكّل اتجاهه العام على نحو يحول بينه وبين تقديره لذاته وثقته بنفسه، كما أنه يفقده المصداقية أو كثيراً منها في نظر الآخرين، وهذه الأمور كافية لإطفاء جذوة التألّق الروحي والاجتماعي في آن واحد.

إن الاستقامة في دلالتها على أصالة الذات، شيء لا يقبل التجزئة؛ إذ لا يُقبل من المرء أن يكون مستقيماً إلا قليلاً أو أن يكون صادقاً في معظم الأحيان، أو

أن يكون عفيفاً أمام المال القليل دون المال الكثير.. إن الاستقامة -بوصفها الطابع العام للشخصية- شيء شديد الحساسية؛ فهي إما أن تكون وإما ألا تكون، وجهادنا اليومي ينبغي أن يصب على صيانتها أولاً وعلى تعميقها ثانياً، ولا أجد حرجاً في القول: إننا حتى نكون مستقيمين فعلاً نحتاج إلى أن نكون أكثر تأملاً وأكثر نشاطاً وأكثر تضحية مما نحن على استعداد لتقديمه اليوم، وهذا يعني أن التقدّم على طريق الاستقامة يتطلب نوعاً من التطوير الشامل للذات، وهذا التطوير حتى يصبح حقيقة يحتاج إلى العزيمة، والإصرار على السير في طريق التغيير. إن السلوك الممتاز يتشكل من مجموعة غير كبيرة من العادات الممتازة، وإن المرء إذا عقد العزم على أن يتخلى في كل سنة عن عادة أو عادتين من عاداته السيئة وحين يفعل ذلك فإنه لن يمضي عليه أكثر من خمس سنوات حتى يجد نفسه وقد تحوّل من زمرة الأشخاص العاديين إلى فئة الأشخاص الجيدين أو الممتازين وإني لآمل أن ننظر إلى ضعف الاستقامة على أنه يشكل التربة التي تنبت فيها جذور معظم مشكلاتنا النفسيّة والاجتماعيّة. وإذا تأمّلنا في الكثير من الصعاب التي نواجهها في الحياة لوجدنا أنها تعود إلى الأخطاء الشخصية المتكررة؛ إذ إن الانحراف سيُلحق الأذى بصاحبه في نهاية المطاف بصورة من الصور. إنه طريق يؤدي إلى ممرٍّ خلفي ضيق ومظلم، وذلك الممرّ سيفضي في النهاية إلى ممرٍّ مسدود، ولكن قد نحتاج إلى وقت أطول حتى ندرك ذلك.

بالاستقامة نحرّر أنفسنا من هيمنة الرغبات غير المشروعة، ونحرّر إرادتنا من

ربقة العبودية ومن أوهام التفوق المكذوب. بالاستقامة نتخلّص من القلق والاضطراب الداخلي، ونحصل على الانسجام الذاتي من خلال اطمئناننا واعتقادنا بأننا نفعل ما ينبغي علينا أن نفعله.

إن الاستقامة توفّر لصاحبها قدراً هائلاً من الشعور بالسعادة والقوة، وإن النظام اللغوي يظلّ قاصراً عن التعبير عن ذلك.في عالم كثير التغيّر والتحوّل يكون احتفاظنا بجوهر يستعصي على التغيير شيئاً يعادل بقاء نجم في مداره وقلباً على نظام حركته.

هل يكون ما خططنا له صرخة في واد أو نقطة تحوّل من حقل الأشواك إلى حقول الورود؟

ليس عندي جواب، الجواب عند القارئ.





الأرواح الخاوية

أظهر الإنسان على مدار التاريخ قدرة فائقة على إدراك المحسوس والتمتع به وتقديره، ولا يعادل تلك القدرة سوى ضعفه في إدراك المعنويات والاحتفال بها والسعي من أجلها، ولعل سرّ هذه الوضعية يكمن في أن الحسّيات تعبر عن نفسها بطريقة أفضل من طريقة المعنويات، أو أن الجزء الحسّي في الإنسان أقوى من الجزء الروحي، وربما عاد ذلك إلى العُرف؛ فالناس لا يرون مباهجنا ومآسينا الداخلية حتى يتخذوا منها موقفاً يضغطون من خلاله علينا، لكنهم يرون بيوتنا وأثاثنا وثيابنا ووظائفنا... وهذا يدعو إلى الأسف؛ لأن من يتمتع بالامتلاء الروحي يشعر بالسعادة، ويُسعد من حوله، أما جمال الشكل فهو متعة للآخرين أكثر من أن يكون متعة لصاحبه، ونحن اليوم نلاحظ أن كثرة ما يحيط بنا من أشياء قد صرف أذهان كثيرين منا عن الاهتمام بتزكية سرائرهم

وإثراء أرواحهم، مع أن الفقر الحقيقي هو فقر الروح، وقحط المعنى، وقد صدق الذي قال: إن رجلاً لا مال له، هو رجل فقير، وأفقر منه رجل لا يملك سوى المال!

إن خواء الروح كثيراً ما يتمثل في ذلك الشعور العميق في الاحتياج الشديد إلى المال والشهرة والنفوذ وتقدير الآخرين والأنس بهم، ومن الطبيعي أن يكون الامتلاء الروحي عبارة عن شعور قوي بالاستغناء الداخلي عن الكثير من هذه الأمور.

الأصل هو الخواء وليس الامتلاء، كما أن الأصل في الناس أن يكونوا جهّالاً إلاّإذا تعلموا، وكما أن ثقافة معظم الناس سطحية، فإن أرواح معظم الناس خاوية؛ لأن الخواء هو الأصل، وهو الشيء السهل، أما الامتلاء الروحي فهو ثمرة جهد ومجاهدة وتبصّر، وهو العنوان لوضعية عامة لشخص من الأشخاص، وإذا أردنا أن نضع الإصبع على الأسباب المباشرة لخواء الأرواح فربما وجدنا الآتي:

١- الغفلة عن الله عَزَّوَجَلَّ وضعف الشعور بمعيّته ـ جل شأنه ـ فالمؤمن بذكره لله عَزَّوَجَلَّ ومناجاته إياه يشعر بأنه كبير وعظيم، ويشعر بالأمن والسلام، والاستغناء عن الناس.

٢- لدى المسلمين إجماع على أن الهدف الأسمى الذي ينبغي التفكير فيه والعمل من أجله هو الفوز برضوان الله عَزَّوَجَلَّ والظفر بمكان مرموق في جنات الخلد، لكن معظم الناس لا يستحضرون هذا الهدف في حركتهم اليومية، ولهذا ترى منهم الكثير من المخالفات والكثير من التقصير في الواجبات. إن الشيء حين يكون هدفاً يوجّه السلوك ويستنفر الهمة، ويصبح الاقتراب منه هاجساً مقيماً.

٣- سيطرة الشعور بالفراغ؛ إذ إن كثيرين منا يجدون أنفسهم عاجزين عن ملء أوقاتهم بشيء قيِّم ومهم، فما يكون منهم إلا أن يملؤوها بالأشياء الضارة أوغير المفيدة، والسبب في الفراغ هو غياب الأهداف والخطط التطويرية، ولطالما كان الشعور بالفراغ مصدراً للشعور بالتفاهة والاستخفاف بالذات!

٤- الارتباك في استخدام الإمكانات المتوفرة بسبب ضعف الخبرة الإدارية، وإذا تأملنا في أوضاع المسلمين وجدنا أن كثيرين منهم يملكون ما يكفي من المال والوقت والطاقة والذكاء والمعرفة، لكنهم مع هذا لم يحققوا أي نبوغ أو أي شيء لافت، وما ذلك إلا لأنهم يشعرون بالعجز عن إدارة مواردهم الذاتية وتعبئتها بطريقة ملائمة.

٥- ضعف النشاط الأدبي والاجتماعي؛ فقد ثبت أن المرء من خلال إسهاماته في الدعوة والإصلاح ومساعدة الآخرين يحقق ذاته، ويشبع شيئاً من حاجاته الروحية، وحين يُحرم من ذلك لسبب من الأسباب يتجه إلى المال والاستهلاك من أجل الشعور بالقوة والقدرة على التمتع، وهذا في الحقيقة يقوِّي شعوره بالخواء، وقد يلجئه إلى أن يسلك مسالك يوبّخ فيها نفسه.

إن الذي يترتب على الخواء الروحي شيء مخيف، ولعل أخطر ما فيه هو سهولة الوقوع في الخطأ، والشعور بالضيق، والعزلة، وضعف الصمود في وجه الشدائد...

إن الامتلاء الروحي هو عاجل الجزاء لأولئك الذين أدركوا في الوقت المناسب أن كل ما بين أيديهم من علم وقوة ومال، وجمال ونفوذ ووجاهة، عبارة عن

وسائل يجب أن تُستخدم في تحقيق الهدف الأسمى؛ وحين تصبح الوسائل غايات فإن ذلك لا يعني سوى شيء واحد: هو فقد الاتجاه وضياع المعنى!



التمتع بالموجود

كثير من الناس لا يعرفون كيف يكون التصرف الأمثل تجاه طموحاتهم ومرغوباتهم؛ فهي مصدر إرباك حقيقي لوعيهم، بل مصدر لشعورهم بالشقاء والحرمان، ومصدر هذه الوضعية هو أن كل أحوالنا وأوضاعنا وكل ما نتطلع إليه، ونرجوه يحتمل الرؤية المتعددة والاعتبارات المتباينة؛ حيث إن في إمكان كثير ممن نغبطهم على ما هم فيه من نعمة أن يشعروا بالحاجة إلى أشياء كثيرة، كما أن كثيراً منهم يغبط غيره، ويحسده على ما يظن أنه محروم من مثله، ومن هنا جاء التوجيه لنا أن نمارس نوعاً من إدارة الإدراك والسعي إلى القيام بمقارنة تجلب لنا الرضا والطمأنينة على نحو ما نجده في قوله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه في المال والخَلْق؛ فلينظر إلى من هو أسفل منه».

إذا نظرنا إلى من هم فوقنا في أمور الدنيا، فلن نحصد سوى الحسرة، وسنزدري

نعمة الله علينا من خلال الشعور بالنقص، ويا حبذا أن ننظر إلى من هم فوقنا في التقوى وشدة الإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ وعمل الخير ونفع الخلق؛ إذن لشكّل ذلك حافزاً لنا على الصلاح والتقدم على الصعيد الشخصي.

إن القرآن الكريم يعدِّد الكثير من آلاء الله ونعمه على الخلق حتى يتمتعوا بها، ويحمدوه عليها، وهو يعلمنا في غير موضع أننا نظل عاجزين عن إحصاء نعمه؛ وذلك حتى نستمتع بحمده وشكره والثناء عليه؛ نحن عاجزون عن إحصاء نعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا، لأننا لم نكتشف حتى اليوم تفاصيل لطفه بنا وتدبيره لنا، كما أننا غير مؤهّلين لمعرفة أنواع النقم والرزايا التي يدفعها عنا دون أن نشعر، أو نجهد،وفي هذا تحفيز للوعي الإسلامي على اكتشاف الخيرات الناجزة التي ننعم بها عوضاً عن قطع العمر في التشوق إلى ما لا نملك. شيء مؤسف أن تنقضي أعمار كثيرين منا في الأمنيات والحسرات؛ وقد صدق من قال : بعضنا يقضي الشطر الأول من عمره في اشتهاء النصف الثاني والتطلع إليه وانتظاره بفارغ الصبر؛ فإذا بلغه قضاه في الحسرة على النصف الأول! وهذا واضح فيما نحفظه من أدبيات رثاء الشباب والبكاء على سالف الأيام. إن خداعنا سهل ميسور، وأشعر أننا كثيراً ما نكون ضحايا الأوهام البراقة، وكثيراً ما تكون الإفاقة في وقت متأخر، وهذا بسبب ضعف فهمنا لطبائع الأشياء وسنن الله عَزَّوَجَلَّ في الخلق.

إن الأشياء التي نتطلع إليها تتمتع بقدرة فائقة على جذبنا إليها، وكلما كانت تلك الأشياء بعيدة المنال كان إغراؤها أعظم، وكلما اقتربنا منها تراجع لمعانها،

وحين نظفر بها فإن قدرتها على إمتاعنا تصبح ضئيلة، وسرعان ما يقفز بنا الخيال إلى ما يمكن أن يأتي بعدها، لنبدأ رحلة جديدة من التشهِّي وخداع النفس؛ وأعتقد أنه لو كان لدينا مئة شخص يعرفون بعضهم على نحو جيد، وطلبنا منهم أن يتحدثوا عما يضمرونه في أنفسهم من مشاعر تجاه بعضهم بعضاً، لرأينا العجب العجاب، وسنكتشف أن كثيراً منهم يغبط غيره على ما هو زاهد فيه، ويغبطه غيره على ما يشعر نحوه بالسأم والملل!! وهكذا تبدو الحياة وكأنها فارغة من أي معنى، وخالية من أي معيار محايد لمعرفة ما يجلب لنا الهناء، وما يجلب لنا الشقاء!

تعالوا كي نتعلم من الأطفال كيف أنهم يصنعون الأفراح والمسرات أياماً طوالاً من خلال اللعب بالقليل جداً من الألعاب. وتعالوا لنقنع أنفسنا بأننا سعداء ومحفوفون بآلاء الله ونعمائه وبركاته، ولنحاول ألا نجعل السعادة هدفاً نطارده كي نمسك به، كما يفعل الذي يحاول القبض على ظله! دخل أحدهم السجن من غير جرم اقترفه، وكان مثقفاً، فوجد من انضم إليهم من المساجين غارقين في الأحزان : أحزان على فراق الأهل والأولاد، وأحزان على الأعمال التي توقفت بعدهم، وأحزان على الحرية والمتع المسلوبة... وكان ذلك الرجل حكيماً وخبيراً في تحويل الوعي وتوجيه الخيال؛ فما كان منه إلا أن اقترح عليهم فكرة لتخفيف الضغوط التي يواجهونها، وتلك الفكرة هي الاجتماع في آخر النهار من أجل الاحتفال بانتهائه وشطبه من مدة الحكم الصادر فيهم، وكان ذلك، واستطاعوا من خلال الحفل اليومي الضئيل جداً في إمكاناته أن يضحكوا من



قلوبهم وملء أفواههم، وحين أُخرِجوا من السجن أضفى ذلك الحفل المتكرر على ذكريات الأيام الصعبة مسحة من الشوق والحنين.

إن كثيراً من الناس يشعرون بالسخط والضيق بسبب ما يعتقدون أنهم فاقدون له من متاع الدنيا وزينتها، وكان عليهم أن يستعيضوا عن ذلك بفتح أبواب جديدة للهناء، لا يتطلب الدخول منها المال والجاه والمنصب، وإنما يتطلب القناعة والرضا بما قسم الله إلى جانب الإكثار من التعبد والثناء على الرحمن الرحيم، بالإضافة إلى إثراء حياتنا بالتواصل الأخوي ومعاني النبل والوفاء وبذل المعروف...

إن جعل سعادتنا مرتبطة على نحو جوهري بالحصول على المزيد من المال، يشكِّل حركة في الاتجاه الخاطئ؛ لأن المطلوب من المال يظل باستمرار أكثر من المعروض؛ ومن ثَم فإن مشاعر الحرمان تظل مسيطرة على أعداد هائلة منا على نحو ما نلمسه اليوم حيث اتجهنا.

إن الرسالة التي أحببت اليوم إيصالها، تهدف إلى الدفع في اتجاه البحث عن ضروب من السعادة المجانية الناجزة عوضاً عن السعي المرهق خلف السراب والوهم؛ فهل وصلت تلك الرسالة؟



الانحسار الطوعي

إن الإنسان من الألغاز الكبيرة في هذه الحياة بسبب ذلك المدرج الواسع الذي نجد الناس قد وزّعوا أنفسهم عليه، حيث تجد في أوله أشخاصاً كثيرين هم أشبه بالبهائم في أنشطتهم اليومية، ويتفوّقون عليها في القدرة على الأذى والتدمير والإساءة إلى الآخرين، وتجد في آخر المدرج أقواماً قليلين، هم زينة الدنيا وبهجتها، يعطون الحياة أكثر مما يأخذون منها، ويقدمون النماذج ويضيئون السبل... وإن الشيء الجوهري دائماً هو الاهتداء إلى المفاهيم والمعاني والسلوكيات التي تصنع الفرق بين هؤلاء وأولئك؛ وهذا بصراحة ليس بالأمر الهين؛ ذلك لأن من الصعب على أي عامل أو سبب أن يقرر بمفرده وجود وضعية كبرى متميزة، ومع هذا فإن علينا أن نجتهد، ونحاول.. إذا تأملنا في حاجات الحيوان وحاجات الإنسان الضرورية، فإننا سنجد أنها متقاربة إلى

حد بعيد: الغذاء والماء والمأوى والحماية والتكاثر والنوم...وهذه الحاجات تستغرق وجود الحيوان بالكامل، وقد فطره البارئ -عز وجل- على الانصراف الكلي لذلك، وحجب عنه الدوافع و المحرضات التي يمكن أن تساعده على السموّ، كما حجب عنه ما يعينه على الاختيارو المخاطرة والمجازفة، ومن ثم فإن خضوعه لبيئته شبه كامل، وبما أن حاجات الإنسان (البيولوجية) شبيهة بحاجات الحيوان فإنك تجد كثيراً من الناس منهمكين في الليل والنهار بما يمكن أن يؤمِّن لهم الاستمرار على قيد الحياة ليس أكثر، وهم يخضعون لبيئاتهم كما يخضع الحيوان، وحين يحلمون، ويتمنون فإن أمنياتهم لا تكاد تتجاوز حدود غرائزهم، وحدود ما يساعدهم على البقاء والاستمتاع، لكن هؤلاء لا يحيون في الحقيقة بكامل قواهم وإمكاناتهم، وإنما بجزء يسير منها.

إن الله عَزَّوَجَلَّ قد وهبنا القدرة على (الاختيار) والانتقاء والإعراض عن بعض الأشياء، والقدرة على المغامرة، وتأجيل الرغبات، وترتيب الأولويات، والتحايل على الظروف الصعبة، كما وهبنا التشوق إلى التسامي على حاجات البدن، والتطلع إلى إمتاع العقل والروح، لكن يمكن لكل هذه القدرات والتشوّقات أن تظل معطلة ومشلولة إذا حُرم الواحد منا الوعي ببعض المعاني والمفاهيم التي تشكل في الحقيقة المفاتيح التي يفتح بها أبواب سجنه الخاص الذي يجد نفسه فيه، بسبب قصوره الذاتي، أو بسبب نشأته وتربيته، أو بسبب المحيط الذي يعيش فيه. خذْ على سبيل المثال مسألة حرية الإرادة والقدرة على الاختيار؛ حيث إننا بعد البحث والتأمل سنجد أن خلف كثير من الإنجازات العظمى

إرادة طليقة ترفض الأسر وتتأبى على القولبة، كما سنجد إحساساً قوياً لدى أصحاب تلك الإنجازات بأنهم قادرون على الاختيار، وهم يعرفون أن القدرة على الاختيار تظل بلا معنى، من غير توفر بدائل وخيارات يمارس المرء تجاهها حريته، وهم يعرفون إلى جانب هذا أن البدائل لا تتوفر دائماً على نحو تلقائي وطبيعي، بل إنها تتوفر لأن هناك من يعمل على توفيرها، ولهذا فإن أصحاب الإنجازات العظيمة يعتقدون أنهم من خلال العمل الدؤوب يوسّعون مجال حركتهم، ويوفّرون المزيد من الخيارات والبدائل. إن العمل المتواصل وفق رؤية جيدة من شأنه أن يجعل صاحبه أقوى، أي أقدر على الفعل والكف، وهذا ما يترجم حرية الإرادة والقدرة على الاختيار.

معظم الناس - مع الأسف الشديد- يشعرون أنهم محصورون في الزاوية الضيقة، وسلوكهم لا يختلف عن سلوك الذين يعتقدون عقيدة (الجبرية) فهم في نظر أنفسهم ليسوا أكثر من شيء فاقد القيمة والوزن تتلاعب به الظروف الصعبة، والحظ العاثر، وزملاء العمل السيئون، ورب العمل الجشع، والطقس الرديء، والأمراض الموروثة عن الأبوين، والتعليم الضعيف الذي تلقّوه في المدرسة، والأسرة الفقيرة التي نشؤوا فيها... إن هؤلاء يرضون بالفتات من كل شيء، ويعدون الحصول على أدنى شيء مكسباً عظيماً، وحين تحدثهم عن النجاحات الكبرى والإنجازات العظيمة، وتذكر لهم ما فعله فلان وفلان.. فإنهم حينئذ يقولون في داخلهم، هذا صاحب أوهام ومبالغات، وإذا صحّ ما يقوله فهذا ليس لنا، ولا نملك شروط القيام بمثله.. وهكذا تذهب كل محاولات تحفيزهم سدى!



أنا أريد من هذا الصنف من الناس أن ينظروا حولهم ليروا عشرات الناس الممتازين الذين نشؤوا في ظروف غاية في الصعوبة، وعانوا في حياتهم من عدد كبير من التحديات، لكنهم لم يُلقوا لكل ذلك بالاً، إنهم كانوا يشعرون في أعماقهم أنهم أحرار، وأنهم يملكون حق الاختيار. لا شك أن ما يجري في هذا الكون بقضاء وقدر، ولا يستطيع أحد التحكم فيما يحدث له، لكن الله -جل وعز- مكّن كل واحد منا من أن يختار رد الفعل المناسب تجاه كل ما يحدث له أو يواجهه، وهذا هو المهم؛ لأن مسؤوليتنا الأخلاقية والشرعية والأدبية تُبنى على ردود أفعالنا وليس على ما يصنعه غيرنا. العظماء لا تحجبهم قسوة المعطيات الحاضرة عن رؤية ما خلف الأكمة من خير وسعة، كما أنهم حين يرون الظلال لا يرون العتمة والأفول، وإنما يتطلعون إلى رؤية النور الساطع الذي تسبّب في وجود تلك الظلال.

معظم الناس يفكرون وهم خائفون ومحبَطون، ولهذا فإن الأفكار التي يحصلون عليها تظل متّشحة بالسواد والشح والضيق، أما العظماء فإنهم متفائلون دائماً لفرط ثقتهم بكرم الله عزوجل ولإدراكهم أن من أهم شروط النهضة الحقيقية الشعور بالتفاؤل، والتخلق بالأخلاق الحسنة.



المراجعة الشخصية

يظل وعي الواحد منا بنفسه منقوصاً ومحدودًا بسبب غموض التعريفات، ونسبية المعايير، وضعف قدرة الناس على مواجهة أنفسهم بصرامة وصراحة، ولكن مع هذا فلا بد من السعي المستمر إلى مراجعة الصورة التي كوَّناها لأنفسنا عن أنفسنا، وتلك التي كوّنها الآخرون لنا، ثم تلقفناها على أنها صورة صحيحة وصادقة. وتستمد هذه المراجعة مشروعيتها من كون عقولنا لا تدرك أبعاد الحقائق إلا على سبيل التدرّج.

ولو حاولنا التبصّر بالأمور التي تحتاج إلى تدقيق لوجدنا الكثير الكثير مما ينبغي التوقف عنده وإعادة تقييمه، وحسبي هنا أن أقدم نماذج لما أعده مهماً في هذه السبيل، وعلى القارئ الفطن أن يقيس ما لم يُقل على ما قيل، وما هو متوارٍ على ما هو ظاهر:

كثيراً ما يلتقي المرء بأناس محبَطين متشائمين، ضاقت بهم الأرض، وظنوا أن ما هو قادم من الأيام لن يكون بحالٍ أفضل مما مضى، وإذا دقق الإنسان في أسباب ما هم فيه فسيجد أن مشكلة (التعميم) غير الموضوعي وغير الرشيد هي التي أوقعتهم في ذلك، فقد يخفق الواحد منهم في مشروع تجاري، فيعمم الإخفاق على كل ذاته، وتتكون لديه قناعة بأنه لا يصلح للنجاح في أي شيء؛ ويبدأ في توقع الإخفاق في كل مجالات الحياة؛ مما يدفعه في اتجاه الخوف والخمول واحتقار النفس... وبعض هؤلاء المتشائمين يرى اثنين أو ثلاثة في محيطه، وقد أخفقوا في مساعيهم في مجال من المجالات، فيدفعه ذلك إلى القول: إن ذلك المجال سيِّئ، ولا خير فيه، ويبدأ في التدليل على ذلك بإخفاق فلان وفلان وهكذا..المراجعة لهذه الحالة وغيرها تعتمد على محاولة توسيع قاعدة الفهم والتخلص من أسْر الصور الجزئية، ومحاولة رؤية الوقائع عبر مفاهيم جديدة ومغايرة للمفاهيم السابقة، وعلى سبيل المثال فإن الاعتقاد بأن لدى كل واحد منا نقاط قوة ونقاط ضعف، يبعث صاحبه على رؤية الإخفاق في مجال من المجالات بوصفه نتيجة لضعف الأهلية في ذلك المجال أو قلة الاستعداد وعدم إحكام الأسباب والمقدمات، وعليه عوضاً عن اليأس والتشاؤم أن يكتشف نقاط القوة لديه، ويحاول الانخراط في الأعمال التي تنسجم مع تلك النقاط، والواقع والتاريخ يشهدان من خلال ألوف الأمثلة والوقائع على صحة هذا المفهوم، فكم من رجل غيّر مجال عمله، فأصاب نجحاً منقطع النظير بعد الإخفاق الذريع، وقُل مثل هذا في النظر إلى مجال من المجالات على أنه مجال صعب

أو ضعيف أو قليل الجدوى أو خطر...حيث يدلّ عدد غير متناهٍ من النماذج على أن الناجحين في أي مجال من المجالات اليوم هم أكثر بكثير من المخفقين، وفي إمكان المرء أن يطلع على قصص نجاح مثيرة في كل المجالات التي يظن المتشائمون أنها مجالات ميتة، وقد قال أحدهم: ليس هناك مشروع مخفق، وإنما هناك إدارة مخفقة، وقال آخر: ليس هناك إخفاق بمعنى الكلمة، وإنما هناك نتائج غير جيدة بسبب وجود مقدمات واستعدادات سيئة؛ وهذا حق. إن على كل واحد من أولئك الذين أصدروا على أنفسهم أحكاماً قاسية ونافذة بعدم الأهلية لإنجاز الأشياء العظيمة أن يقفوا ليتلمسوا خطيئة (التعميم) التي وقعوا فيها، وحينئذ سيجدون آفاقاً جديدة تتسع، وأبواباً موصدة تنفتح، ولن يستفيد أيٌّ من هؤلاء من هذه النصيحة إذا كان قد اتخذ من سوء ظنه بنفسه متكأً للهروب من تحمل المسؤولية، أو وجد فيه ملاذاً من التعب وبذل الجهد!

تعني المراجعة الشخصية أننا نأمل من وراء استعراض تاريخنا الخاص أن نتعلم، وننضج أكثر مما يمكن أن نحصل عليه من ذلك من خلال النظر في تاريخ الآخرين وسيرهم الخاصة. إن سجل حياة كل واحد منا مملوء بالمؤشرات ذات الدلالات الكبيرة والواضحة، و إن الواحد منا حين يتامل في مجموعة الرؤى التي كانت تشكل نظرته للحياة والأحياء، فسيجد أن كثيراً من تلك الرؤى انتهى إلى غير رجعة بسبب الوعي الذي حصل عليه عبر معاناة شؤون الحياة، كما أنه سيجد أن بعضها قد تبلور أكثر وتعمق، بل تحوّل إلى معتقدات ومسلّمات

راسخة، وسيجد أن لديه قسماً ثالثاً مازال موضع نظر وتمحيص، وإن هذه الأقسام الثلاثة على ما بينها من تباين تعمل على خط واحد، هو جعل المرء يعتقد أنه مازال في حالة من النمو والصيرورة والانتقال من حال إلى حال، وهذا الاعتقاد هو الذي يحفزنا على أن نتحسس مآلات أوضاعنا وتسليط نور الوعي عليها؛ كي نشعر أننا نتقدم في مدارج الصلاح والازدهار، وأننا نحرز نوعاً من التفوق المستمر على أنفسنا، ومن وجه آخر فإن من الصعب على الواحد منا أن يقوم بدوره التربوي تجاه أبنائه من غير أن يتذكر الوضع السلوكي والعقلي والروحي الذي كان فيه في مرحلة الطفولة والمراهقة.

إن كثيراً من الأسر المسلمة يشهد نوعاً من (صراع الأجيال) بسبب فقدان الوسيط الثقافي الذي ينقل عبره الآباءُ أفكارهم ومشاعرهم وقيمهم إلى الأبناء، وبسبب الجهل بطبيعة المراهق، وما يتعرض له من ضغوط، وما يواجهه من أزمات ومشكلات. المراجعة الشخصية تتيح الفرصة لمقارنة ماعليه أبناؤنا اليوم بما كنا عليه يوم كنا في مثل أعمارهم، ومن خلال المقارنة ندرك كُنْه المواقف التي علينا أن نقفها تجاه أوضاعهم وتصرفاتهم المختلفة.

من خلال التبصر الذاتي سندرك أن كثيراً من الأخطاء التي وقعنا فيها كان بسبب الجهل: جهل بعظمة من نعصيه، وجهل بالطريقة الصحيحة التي علينا أن نعالج بها الأمور، وجهل بأنواع قصورنا وضعفنا... ونحن نريد من خلال معرفة كل هذا أن نتعلم كيف نحمي أنفسنا في المستقبل من الوقوع في مثل ما وقعنا فيه؛ وهذا الغرض النبيل لا يتحقق من غير تحليل عميق لطبيعة الطموحات

والتطلعات التي تحركنا، وطبيعة الحوافز والمحطات التي تنظم ردود أفعالنا تجاه الأحداث المختلفة، ويظل مثل هذا التحليل ممكناً إذا تحلّينا بالهدوء، ومنحنا أنفسنا الفرصة الكافية للقيام بذلك، إلى جانب امتلاك ما يكفي من الإرادة والاهتمام.





عالم العظماء

هناك جهود لا تتوقف ومساعٍ لا تنقطع لمعرفة الأسباب التي تجعل من الإنسان إنساناً عظيماً، وبما أننا قد نختلف في تعريف العظمة ومتطلباتها وتجلياتها، فمن المؤكد أننا سنختلف إذن في تحديد العظيم، والعظيم جداً ومن هو نصف عظيم... لكن قد يكون من المفيد أن نبحث عن القواسم المشتركة بين جميع العظماء، وأن نبحث عن الأشياء الجوهرية في حياتهم، وطبعاً ستكون نتائج بحثنا ظنية واجتهادية. ولعلي في هذه المحاولة أسلط الضوء على المعاني الآتية:

١- من الأفضل ألا نكتفي بالقراءة عن العظماء، أو سماتهم، فهذا قليل الجدوى، وإنما علينا أن ندخل إلى عوالمهم الشخصية لنرى ما الهموم التي تسيطر عليهم، وما رؤاهم وأحلامهم، وأولوياتهم، والخطوط الحمراء التي رسموها لأنفسهم،

ولنرى عاداتهم وتقاليدهم ومنهجياتهم... ومع أن كل هذه الأموريست شفافة بالقدر الكافي إلا أن الداخل على عظيم لا يخرج من غير هدية!

٢- لو كان من السهل أن يكون المرء ورعاً لصار كل الناس ورعين، ولو كان من السهل أن يصبح المرء ثرياً لصار كل الناس أثرياء، ولو كان من السهل أن يصبح المرء عظيماً لكان كان الناس عظماء.... حين نرى ملامح العظمة في إنسان، فإن لنا أن نتوقع أن هناك رغبات تُكبت ومشتهيات يُغض الطرف عنها وجهداً يُبذل، وتذوقاً مستمراً لطعم العناء...ومن الصعب أن يصبح المرء عظيماً، وليس لهذه الأمور حضورقوي في حياته.

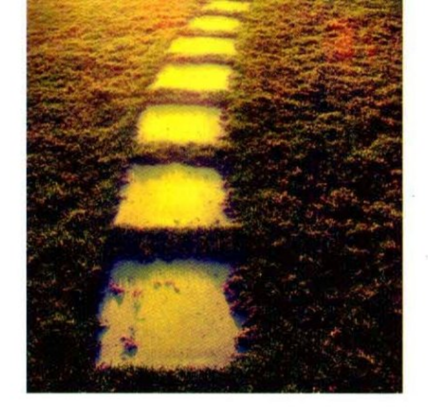
٣- يمتلك الرجل العظيم (رؤية) على درجة حسنة من الوضوح : رؤية لنفسه بما تشتمل عليه من نقاط قوة وضعف،ورؤية للواقع بما فيه من فرص وتحديات، ورؤية لمبادئه وعقائده وأهدافه النهائية، ورؤية لوسطه الاجتماعي، وما يمكن أن يقدمه له من عون، أو يضعه في طريقه من حجارة. هذه الرؤية لا تكون أبداً كاملة، ولا يُطلب أن تكون كذلك، لكنها توفر سداً منيعاً في وجه التردد والاضطراب والانتكاس. وقد رأينا الكثيرمن الناس الذين يملكون العديد من مقومات العظمة، والذين ساروا في طريقها ردحاً من الزمن، ثم حادوا عن الطريق، وأخذ نجمهم في الأفول إلى أن أصبحوا أشخاصاً عاديين، وما ذلك إلا لأن ثقتهم بالطريق الذي سلكوه لم تكن جيدة. وبعض هؤلاء يشبه من يملك عشرة أرجل، وقد وضع كل رجل منها في طريق، إنه يجرِّب ليرى الأنجع والأنسب، فيركز عليه، وقد يُمضي أفضل أيام عمره في التجريب، ثم ينتهي

إلى (لا شيء)! و أعظم العظماء هم من تتصل رؤيتهم للشأن الدنيوي بالشأن الأخروي، إنهم ينظرون إلى الدنيا على أنها ميدان يضيق كثيراً عن طموحاتهم وهممهم، فوصلوه بميادين الآخرة الرحبة الفسيحة، فصار لعظمتهم معنى الديمومة والاستمرار، وصاروا يعطون الدرس تلو الدرس في الأخلاقيات العملية التي لا يكون العظيم عظيماً حتى يتحلي بها. هذا الصنف من العظماء جعل هدفه الأسمى هو الفوز برضوان الله عَزَّوَجَلَّ وأخذ ينظر إلى المال والشرف والجاه والنفوذ والذكاء والحسب والنسب والوظيفة والعلم وكل ما يملك على أنها أدوات للحصول على ذلك الهدف، فأخذوا في استخدامها بجدية ودأب ودون ملل أو كلل، وهم في كل يوم يكبرون ويكبرون على مقدار ما تصغر في عيونهم الدنيا، وتكبر بهم الأمة. هذه هي الرؤية الصحيحة، وما عداها من رؤى لا يخلو من عمش أو حول؛ ونعوذ بالله من الحَوَر بعد الكَوَر.

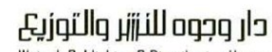




فهرس الموضوعات



إن فكرة جوهرية يتخذ منها المرء رأس جسر، ويثابر على العمل بها قد تغيِّر مجرى حياته، وتنقله من حال إلى حال، كما أن توهمه لأمر من الأمور أوحذره الشديد من شيء من الأشياء، قد يكبله، ويصده عن النهوض إلى كثير من الخير والفوز،وهذا يدل على أن من الحيوي جداً لأي واحد منا أن يمتلك رؤية جيدة لذاته ومحيطه وعصره، وإلا فإن الخسارة قد تكون فادحة!. في العشرين سنة الماضية حصل تقدم واضح في وعينا على صعيد الاهتمام بتنمية الشخصية، حيث صار لدى كثير من العرب والمسلمين يقين بأن انتظار نتائج الإصلاح العام- كما فعل أسلافنا - ليس شيئاً رشيداً، كما أنه غير عملي، ومن ثم صار كثير من الشباب يؤمنون بالعمل بمضمون المقولة الشهيرة : (إذا لم تساعد نفسك، لم يساعدك أحد) ولهذا فإننا قد بتنا نلاحظ إقبالاً شديداً على حضور الدورات التدريبية واقتناء الكتب وحضور المحاضرات... التي تساعد في مسألة صقل الشخصية وفتح آفاق جديدة للارتقاء بها، وهذا تطور في غاية الأهمية.



Wojooh Publishing & Distribution House

www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض

ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108

للتواصل والنشر:

wojoooh@hotmail.com



